الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

عنــوان الأطروحـــة:

مهاجري دول ساحل الصحراء في مدن الصحراء الجزائرية

مقاربة أنثروبولوجية ليوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتــوراه الطور الثالث في أنثروبولوجيا الهجرة

إعداد الطالب:
بخــوش زهـــير

إشراف الدكتورة:
رمضاني صورية

أعضاء لجنـــة المناقشـــة **تاريخ المناقشة: 2023/06/12**

الرقم	الإسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
01	عبد القادر خليفة	أستاذ	جامعة ورقلة	رئيسا
02	صورية رمضاني	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الجزائر 02	مشرفا ومقررا
03	أحمد رميتة	أستاذ	جامعة الجزائر 02	مناقشا
04	سميرة بن صافي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة ورقلة	مناقشا
05	عمر حمداوي	أستاذ	جامعة ورقلة	مناقشا
06	وسيلة بويعلى	أستاذ محاضر-أ-	جامعة ورقلة	مناقشا
07	قويدر سيكوك	أستاذ	جامعة البيض	مدعو

المـــوسم الجامعـي: 2023/2022

"يجب على المعرفة ألا تبتدئ بمعرفة تستلفها بغير فحص من غيرها، وإنما أن تعطي نفسها لنفسها وأن تضع نفسها بوصفها معرفة أولى"

إدموند هوسرل

"فن الحقل..كما جرت التسمية أحيانا لا يمكن تعلمه من الكتب"

مارك اوجيه وجان بول كولاين

"إن تنوع الآراء سمة ضرورية للمعرفة الموضوعية، والمنهج الذي يشجع التنوع هو كذلك المنهج الوحيد الذي يساير النظرة الإنسانية"

بول فيرابند

شكر وعرفان

كذا المعالي إذا ما رمت تدركها * فاعبر إليها على جسر من التعب

أتقدم بالشكر وفائق الاحترام إلى الأستاذة المشرفة "صورية رمضاني" على سعة صدرها وطيبتها ودعمها المعنوي، وعلى كل المجهودات المعتبرة والمعلومات القيمة والتوجيهات التي قدمتها لي بصدد انجاز هذه الأطروحة

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي الكرام أ.د"خليفة عبد القادر"، أ.د "عزيز قودة" أ.د "عمر حمداوي" أ.د"رضوان بلخيري" أ.د "سيكوك قويدر" أ.د "أحمد رميتة" د "مبروك بوطقوقة" د "إبراهيم بن عرفة" د "بن صافي سميرة" د "بوسحلة ايناس" د"بويعلى وسيلة"

كما لا أنسى زملائي د"زيدان بتشيم" د"إبراهيم دكومي" د"قصي عطية" "عبد الرزاق بوعلي" د"فاروق بولبير"د"عبد الله مراحي" د"أمينة شابي" د"فاكية عزاق"

كما لا يفوتني أن أشكر كل الطاقم الإداري والبيداغوجي لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة ورقلة على توفيرهم لنا كل الظروف الملائمة وتبسيط العراقيل لإنجاح وإتمام هذا البحث العلمي.

إهـــــداء

أهدي ثمرة هذا الجهد الذي أرجو أن يكون ذو نفع لأهل الاختصاص وغيرهم من طلبة العلم إلى :

روح الذي كنت أتقاسم معه كل أفراحي وأحزاني

أبي (رحمه الله)

الغالية أمي ثم أمي ثم أمي

رفيقة الدرب زوجتي الحبيبة

أخي و أختي وأسرتهما

سندي وصاحبي ابني "الحاج يوسف"

قرة عين أباها ابنتي "أسيل"

الركن الجديد في بيتنا الكتكوتة "سلمى"

إلى أصدقائي

" السعيد مراحي، منير مناصرية، سليمان خير الدين، ياسين حارث، عبد الوهاب زواطر، جمال نصرة، سمير بخوش، يزيد جدي، الزين جعفر، صبري تومي، عنتر فارح، نبيل تومي، طارق لعجال، فتحي حميدة، فريد غريبي..

إلى كل من سكنوا القلب ونسيهم القلم

الـفهـــــرس العـــــــام

الموضـــــــــوع	الصفحة
فهـــــرس الموضوعـــات	أ-ح
فهـــــرس الجـــــداول	خ
فهـــــرس الخرائـــــط	خ
فهـــــرس المخـــطوطات	خ
فهـــــرس الصـــــور	د-ر
مقـــدمـــة	س-ط
الفصـــل الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة	
1. الإشكاليـة وتساؤلات الدراسة	22-19
2. أسباب اختيار الموضوع	22
3. أهميـــة الدراســـة	23-22
4. أهـــداف الدراســـة	24-23
5. مفاهيم الدراسة	24
5-1. الهجـــــــــرة	27-24
5-2. المهاجـــــــــر	28-27
5-3. المعيش اليومـــــــي	29-28
6. مجال الدراســـة	29

6-1. المجال الزماني	30-29
6-2. المجال المكاني	31-30
6-3. المجال البشري (العينة)	32
7. الكوكتال المنهجي للدراسة	33
7-1. المنهج الإثنوغرافي	35-34
7-2. المنهج الفينومينولوجي	38-35
7_3. المنهج الاثنوميتودولوجي	41-38
8. أدوات وتقنيات البحث الميداني	42
8_1. الملاحظة	43-42
8-2. المقابلـــــــــــة	45-43
8-3. الإخبـــاريـــــون	47-45
8-4. التصوير الفوتوغرافي	47
8-5. التسجيل الصوتي	48-47
8-6. مسودة الأفكار	48
9. الدراسات السابقـــــة	49-48
الفصـــل الثانـــي: البلد الأصـــل والمجتمع المستقبـــل	
تمهيد	52
1. منطقة دول ساحل الصحراء	53

1_1. دول ساحل الصحراء	54-53
1_1_1. مالي	56-55
1_1_2. النيجر	56
1_1_3. القواسم المشتركة بين مالي والنيجر	57-56
1_2_ الوضع الأمني لمنطقة ساحل الصحراء وتشكل فعل الهجرة	59-57
1_3_ الوضع الاقتصادي وفعل الهجرة	62-59
2_ مدينة ورقلة ملتقى مسارات الهجرة	62
2_1_ مونوغرافيا مدينة ورقلة	62
2_1_1_ ورقلة التاريخ والجغرافيا	67-63
2_1_2_ التركيبة الاجتماعية المتفاعلة مع المهاجرين	69-67
2_2_ ورقلة المدينة الجاذبة (قبلة المهاجرين)	72-69
خلاصة	72
الفصـــل الثالـث: الهجـــــــرة في حوض الصحراء الكبرى	
تمهيد	75
1_ نافذة مفتوحة على ظاهرة الهجرة	79-76
2_ مسارات العبور- الحق التاريخي والواقع السياسي	85-80
3_ الصورة النمطية والمخيال الثقافي للهجرة	89-86
خلاصة	89

الفصـــل الرابـــع: يوميات مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة	
تمهـــــــــــيد	92
1_ الواقع الاجتماعي للمهاجرين	93
1_1_ السكن والمأوى وآليات الانتظام	95-93
1_2_ المهاجرين وصور الاحتكاك داخل الفضاءات العامة	96-95
1_2_1_ الفضاء المسجدي	98-96
1_2_2_ الأسواق	98
1_2_2_1_ التفاعل التجاري بيع/شراء	99-98
1_2_2_2_ التفاعل من أجل التسول	101-100
1_2_3_ أحياء وشوارع المدينة	102-101
2_ الواقع الثقافي للمهاجرين بين التثاقف والانكفاء	103
2_1_ الدين- تأشيرة دخول رمزية	105-103
2_2_ اللغة في خطاب الهجرة	109-106
2_3_ اللباس والهجرة	113-110
2_4_ العادات والتقاليد	115-113
2_5_ إشكالية الهوية والتعدد الثقافي	116-115
خلاصة	116

الفصـــل الخامـــس: معيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة	
تمهـــــــــيد	119
1_ معيش الذات الفاعلة في المجتمع المستقبل (العمل أنموذجا)	120
1_1_ مجالات عمل المهاجرين في مدينة ورقلة	120
1_1_1_ أعمال البناء	122-120
1_1_2_ الفلاحة والعمالة المهاجرة	124-123
1_1_3_ الورشات والمحلات التجارية	126-124
1_1_4_ تجارة الأرصفة	128-126
1_2_ الفعالية التنموية لليد العاملة المهاجرة	130-128
2_ التسول بدل العمل (المعيش الماص)	130
2_1_ الحياة اليومية كمقاربة لدراسة ظاهرة التسول	131-130
2_2_ أماكن التسول	132
2_2_1_ المساجد	133-132
2_2_2_ المحطة البرية لنقل المسافرين	134-133
2_2_3_ وسط المدينة (الكاتشوما)	135-134
2_3_ الواقع المعيشي للمتسولين الأفارقة في مدينة ورقلة	135
2_3_1_ المتسول الوافد والمجتمع المستقبل: الشأن الاجتماعي ونمط التفاعلات	137-135

2_3_2_ التسول تحت وطأة الحتمية (كوفيد19)	137
2_3_3_ التنشئة الاجتماعية للأطفال المتسولين	139-138
3_ المعيش اليومي في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19)	140
3_1_ تأثير جائحة كوفيد-19 على واقع المعيش اليومي للمهاجرين	143-141
3_2_ المهاجر العامل في أزمة	145-143
3_3_ التسول: مهرب / أم مكسب من الأزمة؟	147-146
3_4_ الانطواء والتخفي: بروتوكول صحي أم إحتراز أمني؟	148-147
4_ المجتمع المستقبل ودوره في معيش المهاجرين	149
4_1_ دور الجمعيات الخيرية	150-149
4_2_ المعروف/ الصدقة/ الكرم..موائد للمهاجرين	151-150
خلاصة	151
نتائـــج الدراســـة	
عـــــــرض النتائـــــج العامـــــة للدراســـــة	160-153
خاتـــــــــــمة	164-162
قـــــائمـــة المـــراجـــع	174-166
المـــــــــلاحـــــــــق	207-176

- **قائمـــــــة الجـــداول:**

الرقم	العنـــــــــــــــــوان	الصفحة
1	مزايا وحدود المنهج الفينومينولوجي	37
2	يوضح آلية إجراء المقابلات ونمط توزيعها حسب محاور الدراسة	45
3	يوضح أوجه التشابه بين مالي والنيجر	57

- **قائمـــــــة الخرائـــــــط:**

الرقم	العنـــــــــــــــــوان	الصفحة
1	توضح مناطق سكن المهاجرين	31
2	توضح نقاط التواجد اليومي	31
3	توضح منطقة ساحل الصحراء	54

- **قائمـــــــة المخـــططات:**

الرقم	العنـــــــــــــــــوان	الصفحة
1	مخطط يلخص تصنيف المهاجرين	28
2	مخطط توضيحي لأنواع الهجرة	79

● **قائمـــــــة الصـــــــور:**

الرقم	العنـــــــــــــــــــوان	الصفحة
1	توضح مكان سكن مهاجري دول ساحل الصحراء	94
2	توضح تفاعل تجاري بين مهاجرين من دول ساحل الصحراء	99
3	مهاجرات من النيجر يمارسن لعبة الكارابكي	102
4	مهاجرات من النيجر بلباس يظهر الهوية الدينية	103
5	مهاجرتين من دولة النيجر تؤديان صلاة العشاء في ساحة عامة	104
7/6	صور لتحضير أكلة "لافيان"	114
8	أحد العاملين المهاجرين في ورشة بناء	122
10/9	صور لثلاث 03 مهاجرين من النيجر (17.17.18 سنة) في أحد نقاط التفتيش الأمنية التابعة لمدينة ورقلة	176
12/11	صور لأماكن سكن المهاجرين في الأحياء الهامشية	177
14/13	صور تظهر مكان سكن المهاجرين من الداخل	178
16/15	صور لمهاجرين عائدين لمكان السكن المتمثل في ورشات البناء التي يشتغلون بها	179
17	صورة تجمع الباحث مع مجموعة من المهاجرين من دولة مالي في مقر سكناهم	180
19/18	صور تظهر التفاعل التجاري للمهاجرين في الأسواق مهاجر بائع/ مهاجر مشتري	181

21/20	صور أخرى تظهر التفاعل التجاري للمهاجرين في الأسواق مهاجر بائع/ مهاجر مشتري	182
23/22	صور تظهر التفاعل من أجل التسول للمهاجرين في الأسواق مهاجرات من النيجر مع أولادهن يمارسن التسول أمام المحلات التجارية	183
25/24	صور تظهر لعب أطفال المهاجرين في الفضاءات العامة	184
27/26	صور تظهر أطفال المهاجرين في الفضاءات العامة	185
29/28	صور تظهر أطفال المهاجرين في الفضاءات العامة	186
31/30	المهاجرين في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة	187
33/32	المهاجرين في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة	188
34	مهاجرتين من دولة النيجر تؤديان صلاة العشاء في ساحة عامة	189
35	مهاجرات من النيجر بلباس يظهر الهوية الدينية	189
37/36	عملية تسوق المهاجرين لشراء الأبسة والأحذية من السوق الأسبوعي	190
39/38	التثاقف والإنكفاء في نمط اللباس عند المهاجرين	191
41/40	صور لعملية تحضير أكلة لافيان	192
43/42	صور لعمال مهاجرين في أحد ورشات البناء بمدينة ورقلة	193
44	مجموعة من المهاجرين العمال على متن شاحنة تابعة لأحد ورشات البناء	194
45	صور لنماذج السكنات التي يشتغل على بنائها المهاجرون	194
47/46	صور لنماذج السكنات التي يشتغل على بنائها المهاجرون	195
49/48	صور لنماذج السكنات التي يشتغل على بنائها المهاجرون	196

51/50	صور لأحد المزارع التي يشتغل بها المهاجرون	197
53/52	صور لعمل المهاجرين في المحلات التجارية والورشات	198
55/54	صور لعمل المهاجرين في المحلات التجارية والورشات	199
57/56	صور لعمل المهاجرين في المحلات التجارية والورشات	200
59/58	صور لطاولات تجارة الأرصفة التي يمارسها المهاجرون	201
61/60	صور لطاولات تجارة الأرصفة التي يمارسها المهاجرون	202
63/62	صور لظاهرة تسول أطفال المهاجرين	203
65/64	صور لظاهرة تسول أطفال المهاجرين	204
67/66	صور لظاهرة تسول النساء المهاجرات	205
69/68	الباحث مع مهاجرتين يمارسن التسول وبيع المناديل الورقية	206
71/70	فتاة مهاجرة تتجول على المطاعم في منطقة الكاتشوما لطلب الطعام	207

مقـــدمة عـــامة

مقدمـــــــــــــة:

لطالما ارتبط فعل الهجرة بعدة عوامل سواءا كانت عوامل طرد من البلد الأصل (البلد المصدر للمهاجرين) أو عوامل جذب في البلد المستقبل، كما ارتبطت الهجرة ومساراتها بجغرافية المسار والخصوصيات المجالية والسوسيو–اقتصادية للمكان المقصود، والجزائر الدولة القارة من بين الدول التي عرفت ظاهرة الهجرة عبر العصور والأزمنة، هجرات داخلية وخارجية، محلية وأجنبية، فكما كانت بالأمس من الدول المصدرة للمهاجرين لدول جنوب وغرب أوروبا، هي اليوم منطقة عبور ومنطقة استقرار وجذب للمهاجرين من دول ساحل الصحراء.

شهدت السنوات الأخيرة تنامي ظاهرة هجرة مواطني دول ساحل الصحراء (النيجر ومالي بالأخص) للجزائر، حيث لا تخلو أغلب المدن الجزائرية من تواجد هؤلاء المهاجرين الذين يعرفون في الوسط المحلي الجزائري بـ**الأفارقة** أو **الماليين** (نسبة لدولة مالي)، والصحراء الجزائرية والمدن الصحراوية هي من المحطات الأولى المستقبلة لهؤلاء المهاجرين، سواءا باعتبارها مناطق عبور أو مناطق استقرار، ففي العقود السابقة كانت مدن الصحراء الجزائرية تعتبر مناطق عبور بالنسبة للمهاجرين القادمين من جنوب الصحراء، حيث كانت الوجهة نحو الشمال ومنه إلى تحقيق الحلم الأوروبي (الهجرة إلى أوربا)، وبعد زيادة التدابير الأمنية للحد من هذه الظاهرة من طرف دول الشمال الأفريقي ودول الجنوب الأوربي أصبح العبور للضفة الأوروبية شبه مستحيل وصعب، ومنه أصبحت مدن الصحراء الجزائرية مناطق استقرار للمهاجرين، ومدينة ورقلة أحد أبرز المدن الصحراوية الجاذبة للهجرة الداخلية والخارجية، لما تمتاز به من خصائص اجتماعية واقتصادية وحتى جغرافية، بالإضافة إلى ما تعيشه المدينة من تحولات تنموية مست العديد من القطاعات، فأصبحت محل أنظار وقبلة طالبي العمل والباحثين عن تحسين المستوى المعيشي، سواءا من أبناء الوطن أو من المهاجرين الأفارقة.

وفي ظل هذا التغير في استراتيجيات ومسارات هجرة مواطني دول ساحل الصحراء، جاءت دراستنا هذه لتفتح المجال للتعمق في واقع هذه الظاهرة، من خلال استغلال تقنيات البحث الأنثروبولوجي في دراسة **"يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة"**، اعتمادا على المزاوجة بين أنثروبولوجيا الهجرة من جهة وأنثروبولوجيا الحياة اليومية من جهة أخرى، وعبر تمشي منهجي كيفي شهد تعدد في المناهج المستخدمة، إضافة إلى تنوع الأدوات والتقنيات التي ساهمت في عملية البحث وجمع المعطيات الإثنوغرافية حول الموضوع.

وقد جاءت دراستنا مفتوحة ومتوزعة على ستة فصول اختلفت في المحتوى والمضمون والجانب المعالج فيها، وفي ما يلي سنحاول التفصيل في ذلك:

الفصل الأول:

جاء الفصل الأول بعنوان الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة، حيث تطرقنا فيه إلى إشكالية الموضوع ومجموع التساؤلات المطروحة في الدراسة بناءا على ما تم جمعه من معطيات ميدانية أولية، ومن ثمة عرجنا على طرح الأسباب التي دفعت بنا لاختيار موضوع المعيش اليومي للمهاجرين، مع ذكر أهمية الموضوع والأهداف المرجوة من الدراسة، ثم تلاه تحديد مفاهيم الدراسة وتعريفها حيث تطرقنا لثلاث مفاهيم رئيسية تمثلت في الهجرة، المهاجر، المعيش اليومي، ومن الميدان حددنا مجال الدراسة الذي جمع بين المجال الزماني والمجال المكاني إضافة إلى المجال البشري المتمثل في عينة الدراسة، وبما أن دراستنا من الدراسات الكيفية فقد اعتمدنا على كوكتال منهجي جمع بين ثلاث مناهج كيفية تمثلت في المنهج الإثنوغرافي، المنهج الفينومينولوجي، ومنهج الجماعة (الاثنوميتودولوجي)، كما وضحنا في هذا الفصل أدوات وتقنيات البحث الميداني المستخدمة، الملاحظة، المقابلة، الإخباريون، التصوير الفوتوغرافي، التسجيل الصوتي، ومسودة الأفكار أو مدونة الباحث، وختمنا الفصل بعنصر الدراسات السابقة أو ما يعرف بالتراث النظري.

الفصل الثاني:

بعنوان "البلد الأصل والمجتمع المستقبل" تناولنا في الفصل الثاني محورين أساسيين وهما منطقة دول ساحل الصحراء، حيث ركزنا على دولتي مالي والنيجر والقواسم المشتركة بينهما، ثم تطرقنا إلى كل من الوضع الأمني والوضع الاقتصادي في منطقة ساحل الصحراء ودورهما في تشكل فعل الهجرة.

أما المحور الثاني من هذا الفصل فقد خصصناه للحديث عن مدينة ورقلة باعتبارها منطقة الاستقبال، ابتداءا بمونوغرافيا عن المدينة تناولت تاريخ وجغرافية المنطقة، والتركيبة الاجتماعية المتفاعلة مع مهاجري دول ساحل الصحراء، ثم اختتمنا الفصل بتبيان عوامل الجذب في مدينة ورقلة.

الفصل الثالث:

في هذا الفصل تعمقنا في ظاهرة الهجرة بصفة عامة وهجرة مواطني دول ساحل الصحراء بصفة خاصة، وتحت عنوان "الهجرة في حوض الصحراء الكبرى" افتتحنا الفصل بتمهيد ثم نافذة مفتوحة على ظاهرة الهجرة، ومن ثمة تحدثنا عن مسارات العبور بالنسبة لمهاجري دول الساحل والجدلية بين الحق في الهجرة كممارسة لها أبعاد تاريخية والواقع السياسي الرافض لتجاوز الحدود السياسية للدول دون إذن بذلك، وفي ختام الفصل وضحنا الصورة النمطية والمخيال الثقافي للهجرة.

الفصل الرابع:

قمنا في هذا الفصل بالتعمق في الواقع الاجتماعي والواقع الثقافي من يوميات مهاجري دول ساحل الصحراء بمدينة ورقلة، حيث عرجنا في الواقع الاجتماعي على السكن والمأوى وآليات الانتظام، ثم صور الاحتكاك داخل الفضاءات العامة بين المهاجرين والمجتمع المستقبل، ومن بين هذه الفضاءات الفضاء المسجدي والأسواق، وأحياء وشوارع المدينة. أما بالنسبة للواقع الثقافي فقد أبرزنا دور الدين كعنصر ثقافي وهوياتي في يوميات المهاجرين، ثم تناولنا عنصر اللغة كثاني أهم العناصر الثقافية التي يجب معالجتها

ودراستها في عمقها ودورها في يوميات المهاجر ودور اللغة في العملية التواصلية بين المهاجر والمجتمع المستقبل، كما عرجنا على نمط اللباس عند المهاجر ودوره في تلك الصورة المأخوذة عن وضع المهاجرين، ومن ثمة إلى بعض العادات والتقاليد التي يمارسها هؤلاء المهاجرين داخل مدينة ورقلة.

الفصل الخامس:

بعد التمهيد، احتوى الفصل الخامس الذي تناولنا فيه معيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، ثلاثة عناصر كبرى كان أولها معيش الذات الفاعلة التي كانت إشارة إلى الفئة العاملة من المهاجرين، حيث جاء في هذا العنصر مجموع النقاط التالية: مجالات عمل المهاجرين (أعمال البناء، الفلاحة والعمالة المهاجرة، الورشات والمحلات التجارية، وتجارة الأرصفة)، ثم الفعالية التنموية لليد العاملة المهاجرة، أما العنصر الثاني من هذا الفصل فقد عالجنا فيه ظاهرة تسول المهاجرين ابتداءا باستخدام مقاربة الحياة اليومية، ثم بينا أهم أماكن التسول (المساجد، المحطة البرية لنقل المسافرين، وسط المدينة)، كما قمنا برصد الواقع المعيشي لهؤلاء المتسولين ونمط التفاعلات بين المتسول والمجتمع المستقبل، إضافة إلى التنشئة الاجتماعية للأطفال الممارسين لفعل التسول. وقد جاء العنصر الثالث ليعالج المعيش اليومي للمهاجرين في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19)، من خلال تبيان تأثير الجائحة على الواقع المعيشي، وتأثر العامل الأفريقي ودخوله في أزمة البطالة، كما عرجنا على ممارسة التسول وانتقالها من مهرب من الأزمة إلى مكسب، واختتمنا العنصر الثالث بالسياسة التفاعلية للمهاجرين في ظل الجائحة. أما العنصر الرابع والأخير من هذا الفصل تطرقنا فيه المجتمع المستقبل ودوره في معيش مهاجري دول ساحل الصحراء، من خلال دور الجمعيات الخيرية ودور المجتمع الورقلي وتجلي القيم الاجتماعية في هذا الدور.

الفصل السادس:

جاء هذا الفصل ليعرض مجموع نتائج الدراسة التي أجريناها بصفة عامة ومختصرة، بحيث تناولنا نتائج كل فصل من فصول الدراسة على حدا، وذلك لتسهيل عملية الاطلاع والربط بين النتائج ومحتويات الفصول، وقد جاءت هذه النتائج كحوصلة لمجموع العمليات البحثية الجامعة بين وصف وتحليل المعطيات الإثنوغرافية التي جمعناها من خلال معايشتنا لموضوع يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة.

تعتبر هذه الدراسة من أول الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت موضوع المعيش اليومي للمهاجرين من دول ساحل الصحراء في الصحراء الجزائرية، ونأمل أن تكون بداية للكثير من الدراسات التي قد تعطي إضافة نوعية وكمية في مجال الهجرة والمعيش اليومي.

الفصـــل الأول

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة

1- الإشكالية وتساؤلات الدراسة

2- أهمية الموضوع

3- أسباب اختيار الموضوع

4- أهداف الدراسة

5- مفاهيم الدراسة

6- مجال الدراسة

7- الكوكتال المنهجي للدراسة

8- الأدوات المستخدمة في الدراسة

9_ الدراسات السابقة

1_ الإشكاليـــــــــــــة:

لقد لاقت ظاهرة الهجرة اهتمام الكثير من التخصصات العلمية والأكاديمية على غرار العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة منها علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، حيث تعتبر ظاهرة الهجرة مجالا خصبا لعدد لا حصر له من البحوث والدراسات، إلا أن المنظور الأنثروبولوجي تخطى ما تختص به هذه الظاهرة من سمات وخصائص وارتباطات مكانية جغرافية، ليعالج ظاهرة الهجرة بما لها من طابع سوسيو-ثقافي وبعد إنساني....

فالهجرة صاحبت الإنسان وصاحبت رغبته في البحث عن الأفضل (بيولوجيا واجتماعيا)، أو هروبا مما هو أسوأ من الناحية المعيشية والأمنية، وهي ظاهرة قديمة قدم التاريخ، غير أنها تسارعت ونمت في زمن العولمة وتفكك فكرة البناءات الجغرافية، أو كما أطلق عليه علماء الاجتماع من أمثال "أنتوني غيدنز" بعصر الهجرة.

ولعل من أهم أسباب تسارع ظاهرة الهجرة هو ما يحدث في العالم من تطورات اقتصادية واجتماعية وسياسية بالإضافة إلى الوضع الأمني، وهذا ما تشهده العديد من دول العالم من ثورات وأزمات على غرار الدول العربية ودول ساحل الصحراء، هذه الأخيرة (دول ساحل الصحراء) التي كانت منسية لفترة طويلة من الزمن، لكنها أصبحت منطقة محل أنظار العديد من الدول، لما تشهده من توترات أمنية متصاعدة، مع تنامي نشاطات الجريمة المنظمة (تجارة الأسلحة، تهريب المخدرات، تهريب البشر...الخ)، حيث أدى هذا الوضع الذي تعيشه دول ساحل الصحراء إلى الدفع بالملايين من البشر نحو الهروب والهجرة من بلدانها باتجاه دول شمال إفريقيا (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) والدول الأوروبية.

وإذا كانت الدول الأوربية باتت أكثر انشغالا بالمشاكل الاقتصادية والأمنية والجيو-استراتيجية التي أنتجتها مشاكل منطقة الساحل، فإن دول شمال إفريقيا وخاصة الجزائر معنية بالتحولات الجيو-سياسية والأمنية في المنطقة، حيث تعد الجزائر أحد أبرز الفاعلين في معادلة الهجرة الوافدة من دول ساحل الصحراء، سواءا باعتبارها منطقة عبور نحو الضفة الجنوبية للقارة الأوروبية، أو باعتبارها منطقة استقرار للمهاجرين، والعديد من المدن الجزائرية تشهد ارتفاع متزايد في أعداد المهاجرين الأفارقة، حيث ساهم القرب الجغرافي والانصهار الاجتماعي الإثني والديني بين دول الساحل والصحراء الجزائرية في جعل المدن الجزائرية وخاصة الصحراوية منها قبلة للمهاجرين.

ومدينة ورقلة من المدن الصحراوية الجزائرية التي شهدت في السنوات الأخيرة توافد أعداد كبيرة لمهاجري دول ساحل الصحراء، تعتبر منطقة جاذبة للهجرة الداخلية والخارجية لما تمتاز به من خصائص اجتماعية واقتصادية وحتى جغرافية، بالإضافة إلى ما تعيشه المدينة من تحولات تنموية مست العديد من القطاعات، فأصبحت محل أنظار وقبلة طالبي العمل والباحثين عن تحسين الوضع المعيشي، سواءا من أبناء الوطن أو من المهاجرين الأفارقة.

إن صفة الجذب التي تمتاز بها مدينة ورقلة قد جذبت انتباهنا وأشعلت شغفنا البحثي لتتبع ودراسة يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء، من خلال مقاربة أنثروبولوجية تتقاسم مسؤوليتها أنثروبولوجيا الهجرة وأنثروبولوجيا الحياة اليومية، وعبر تمشي منهجي كيفي يحوي مجموعة من المناهج الكيفية التي استوجبتها الضرورة البحثية سواءا من خلال نوع الموضوع المراد دراسته أو المقاربات المستخدمة.

وبناءا على ما سبق ذكره وانطلاقا من مبدأ البحث العلمي سنحاول من خلال موضوعنا الموسوم بعنوان:

" مهاجري دول ساحل الصحراء في مدن الصحراء الجزائرية

دراسة أنثروبولوجية ليوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة"

التطرق في دراستنا إلى المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، وهذا من خلال أشكلة الموضوع على النحو التالي:

ما واقع يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة؟

إن البحث في المعيش اليومي هو غوص لأعماق الظاهرة الإنسانية بكل أبعادها ومؤشراتها ودلالاتها، لهذا يعتبر من الموضوعات البحثية التي لا يمكن تناولها في كليتها وبكل تفاصيلها وزواياها، فمن خلال الخرجات الاستطلاعية الميدانية وبعد تفكيك مجتمع الدراسة وجمع معطيات أولية عن المبحوثين لحصر المجال البحثي وتحديد النقاط الأساسية التي تستدعي وضعها تحت المجهر والتدقيق في جزئياتها، ارتأينا الخوض في غمار البحث دون توجيه مسبق تفرضه تساؤلات فرعية مسبقة، فجاءت دراستنا مفتوحة على محاور فرضها الميدان وكانت نتاج غربلة لمقابلات غير موجهة وملاحظات وعمليات بحثية أمبريقية بحتة، ومن ثمة تأشكلت تلك المحاور على مجموع التساؤلات التالية:

تساؤلات الدراسة:

1_ ما هي المؤشرات السوسيو-تاريخية لعوامل الدفع والجذب بين البلد الأصل والمجتمع المستقبل للمهاجرين من دول ساحل الصحراء؟

2_ فيما تتمثل دلالات القراءة الأنثروبولوجية للواقع الاجتماعي والثقافي ليوميات مهاجري دول ساحل الصحراء؟

3_ ما هي صور معيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة؟

2_أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيارنا لموضوع يوميات ومعيش مهاجري ساحل الصحراء في مدينة ورقلة إلى مجموعة أسباب نعدد منها ما يلي:

_ شغفنا البحثي لخوض تجربة الدخول إلى عالم المهاجرين من دول ساحل الصحراء وتكوين منتج ابستمولوجي حولهم من خلال تطبيق آليات البحث الأنثروبولوجي.

_ غالبا ما يذهب الباحث الأنثروبولوجي لدراسة مجتمع غريب عنه داخل بيئته الاجتماعية والمجالية، إلا أن في دراستنا هذه مجتمع البحث (المهاجرين) هو من دخل بيئة الباحث، وهذه تعتبر فرصة وجب استغلالها إبستيميا لمعرفة الآخر وتتبع صور وأنماط تفاعلاته اليومية.

_ ندرة إن لم نقل انعدام الدراسات الأكاديمية حول فئة المهاجرين (الأفارقة) من دول ساحل الصحراء خاصة ما يتعلق بواقع معيشهم اليومي.

3_أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراستنا لهذا الموضوع في كونه يحاكي مجالين هامين هما المعيش اليومي والهجرة، فهي دراسة تحوي مقاربتين علميتين في تخصص الأنثروبولوجيا، فمن جهة أنثروبولوجيا الحياة اليومية تحاول التركيز على الواقع المعيش من خلال استخدام مناهج كيفية تسعى للوصول إلى فهم مظاهر الحياة اليومية باستخدام أدوات بحث ميدانية تجعل الباحث والمبحوث فاعلين أساسيين في الدراسة، يمكن تسميتها بالفعل التشاركي في إحياء البحث أو الدراسة، ذلك أن كل من الباحث والمبحوث هما شريكان في خلاصة النتائج التي تنتهي إليها الدراسة، ومن جهة أخرى أنثروبولوجيا الهجرة التي تركز على البعد الإنساني للمهاجر دون

توجيه أحكام قيمية أو توصيفات قانونية وصحفية، فالأنثروبولوجيا تنظر لذلك المهاجر على أنه إنسان انتقل من بلده الأصل بكل حمولته الثقافية إلى بلد مستقبل يختلف عنه ثقافيا ومجاليا واجتماعيا دون النظر إلى الصفة التي وقع بها فعل الهجرة.

لهذا فإن دراستنا تعتبر من أول الدراسات الأنثروبولوجية التي عايشت ودرست المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، حيث تعتبر إحدى المدن الكبرى في الصحراء الجزائرية التي تشهد توافد كبير للمهاجرين من دول ساحل الصحراء خاصة في السنوات الأخيرة، إضافة إلى أن هذه الدراسة هي جزء من مشروع علمي أكاديمي يعمل على دراسة موضوع الهجرة والمهاجر من الناحية الأنثروبولوجية تحت جناح تخصص أنثروبولوجيا الهجرة، هذا التخصص الذي يعتبر من أبرز التخصصات المستحدثة في جامعة قاصدي مرباح ورقلة وبالضبط في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

4_ أهداف الدراسة:

خوض غمار المغامرة البحثية في دراسة موضوع يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، يصبو إلى مجموعة من الأهداف التي يمكننا حصرها في النقاط التالية:

_ تسعى دراستنا إلى معرفة واقع المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء من خلال التوغل إلى حياتهم اليومية ومعايشة أحداثها من الداخل، بعيدا عن تلك السطحية في دراسة الموضوع من الخارج التي تظهر في بعض الدراسات الأكاديمية أو الريبورتاجات الصحفية.

_ البحث عن دلالات التجربة الذاتية للمهاجرين من دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة من خلال مقاربات نظرية تندرج في إطار أنثروبولوجيا الحياة اليومية وأنثروبولوجيا الهجرة، واستنادا على طرح منهجي كيفي متعدد يحتوي على مجموعة مناهج تفرضها تلك المقاربات وخصوصية الموضوع.

_ تهدف الدراسة إلى معرفة تفاصيل التفاعل اليومي بين المهاجرين من دول ساحل الصحراء والفضاءات العمومية في مدينة ورقلة من خلال تتبع لمجموعة أبعاد ومؤشرات وليدة المعطيات الميدانية.

_ إلقاء الضوء على جماعة المهاجرين الأفارقة كجزء مكون وفاعل وحي ضمن التركيبة الاجتماعية للمجتمع الصحراوي عامة والمجتمع الورقلي خاصة.

_ محاكاة واقع يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء من المنظور الأكاديمي الأنثروبولوجي بعيدا عن الصورة السوداء التي تروج لها أقلام ووسائل الإعلام.

5_ مفاهيم الدراسة:

كل دراسة علمية أكاديمية تحتاج إلى ضبط وتدقيق في المصطلحات المستخدمة والمفاهيم الرئيسية التي تساعد على إبراز صفة العلمية فيها (الدراسة)، وفي الغالب فإن تحديد المصطلحات والمفاهيم يحوم حول المصطلحات المشكلة لعنوان الدراسة، والمصطلحات التي تمثل أبعادا أو مؤشرات في الدراسة.

5_1_ الهجرة:

يذهب "مصطفى الخشاب" إلى تعريف الهجرة (بأنها الأخذ بالأسباب الاجتماعية، فيقال أن الهجرة معناها انتقال الإنسان من موطنه الأصلي وبيئته المحلية إلى وطن آخر للارتزاق وكسب وسائل العيش أو لسبب آخر).[1]

"الهجرة حسب تعريف الأمم المتحدة هي انتقال السكان من منطقة جغرافية إلى أخرى، وتكون عادة مصحوبة بتغيير محل الإقامة ولو لفترة محدودة".[2]

[1] مصطفى الخشاب: علم الاجتماع ومدارسه، الدار القومية القاهرة، 1965، ص 257.

[2] أحمد علي سليمان، أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1997، ص95.

"هي عملية انتقال أو تحول أو تغير لفرد أو جماعة من منطقة اعتادوا الإقامة فيها إلى منطقة أخرى داخل حدود البلد وتسمى الهجرة الداخلية، أو خارج حدود البلد وتسمى الهجرة الخارجية، وتحدث الهجرة نتيجة لعدة أسباب، كما وجدت عدة نظريات مفسرة لها، وتقسم الهجرة إلى عدة أنواع: داخلية وخارجية حرة أو إجبارية، دائمة أو مؤقتة وغير ذلك من التقسيمات".[1]

الهجرة في مفهومها العام يقصد بها انتقال الأشخاص من منطقة جغرافية إلى منطقة جغرافية أخرى بقصد الإقامة الدائمة – ويقترح كنجزلى ديفيز Davis خمسة أشكال للهجرة هي:[2]

أ_ الغزو Invastion: وفيه يدخل المهاجرون كغزاة فاتحين بقوة السلاح.

ب_ العمل الإجباري: ومن أمثلته أسر الرقيق من أفريقيا وترحيلهم إلى العالم الجديد.

ج_ الإزاحة: فيها يشرد السكان الأصليون ليحل محلهم سكان آخرون والمثال: <<فلسطين>>.

د_ الهجرة المقيدة: ومثال لها نظام النفي الذي كان سائدا في بعض البلدان <<أثينا>> في العصور القديمة.

هـ_ الهجرة الفردية: تتم عن طوعية وباختيار الفرد تحت تأثير دافع معين قد يكون اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا.

---

[1] طارق محمد أحمد حسين وآخرون، ***دراسة للتغيرات فى عوامل النمو السكاني بريف محافظة الوادي الجديد***، ع5، (مقال)، قسم المجتمع الريفي والإرشاد الزراعي، جامعة أسيوط، 2017.

[2] مرزوق عبد الرحيم: ***<<الهجرة الريفية الحضرية في الجمهورية العربية المتحدة: أنماطها ودوافعها والآثار المترتبة عليها>>***، الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفي في ج.ع.م، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1971، ص 211-212.

وهناك تعريف إحصائي للهجرة وهو أن كل حركة عبر الحدود ما عدا حركات السياحة تدخل إحصاءات الهجرة، وإذا كانت الحركة لمدة سنة فأكثر فتحسب كأنها هجرة دائمة، وان كانت أقل من سنة تعتبر هجرة مؤقتة.[1]

ويذهب (د. مأمون طربيه) في كتابه (علم الاجتماع في الحياة اليومية – قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة) إلى أن الهجرة هي " انتقال جماعات أو أفراد من دولة إلى دولة أخرى بغية العمل والاستقرار، وقد يتحكم في عملية الانتقال هذه عوامل عديدة منها ما يعرف بعوامل الطرد من المحيط الأولي الذي يعيش فيه الإنسان، ومنها ما يسمى بعوامل الجذب التي تشده إلى محيط آخر بديل قرر الانتقال إليه .."."[2]

"مقابل مصطلح الهجرة، استعمل عبد المالك صياد مصطلحين هما: émigration وimmigration فالمصطلح الأول يمكن ترجمته إلى الهجرة، هو انتقال من البلد الأصلي نحو بلد آخر. أما المصطلح الثاني، والذي يمكن ترجمته إلى مصطلح الغربة، يعني التواجد والعيش في البلد المستقبل. إذا فالهجرة حسب صياد تكون دائما من البلد الأصلي نحو بلد الاستقبال، وتكون غربة في بلد مستقبل، فيكون المنتقل مهاجرا من بلده الأصلي ليصبح مغتربا في بلد مستقبل له."[3]

مما سبق ذكره يمكننا تحديد تعريف إجرائي للهجرة، على أنها ذلك الانتقال الدائم أو المؤقت لفرد أو مجموعة أفراد من بيئة جغرافية ذات بعد تاريخي وسوسيو–ثقافي يمثل الأصل إلى بيئة جغرافية أخرى تختلف

---

[1] هشام محمود الأقداحي: ***الإغتراب والهجرة***، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2018، ص 313.

[2] مأمون طربيه: ***علم الاجتماع في الحياة اليومية***، ط1، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 2011، ص 225.

[3] عبد الله بلعباس، ***ظاهرة الهجرة عند عبد المالك صياد: من السياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي***، مجلة إنسانيات، ع 62، طبعة أكتوبر–ديسمبر 2013، ص 25.

عن البيئة الأصلية من الناحية المجالية أو السوسيو–ثقافية، لغايات أو أسباب تختلف باختلاف العوامل الدافعة لفعل الهجرة (عوامل طرد أو عوامل جذب).

5_2_ المهاجر:

"المهاجرين يختلفون عن المتنقلين لأن نقل مكان الإقامة في حالة الهجرة يترتب عليه بالضرورة نقل حياة الإنسان المهاجر برمتها أما الذي ينتقل بين مسكن وآخر قد يظل يمارس حياته كلها في مكان السكن الأول. كما أن هناك فارقا واضحا بين التنقل الاجتماعي والهجرة ذلك أن التنقل الاجتماعي يعتبر من قبيل تغيير المركز الاجتماعي والاقتصادي وربما يتم هذا التغيير داخل منطقة واحدة في المجتمع دون حاجة إلى الانتقال. كما أن الهجرة باعتبارها عملية تغيير فيزيقي في مكان الإقامة المعتاد وبالتالي تغير جذري في حياة المهاجر فهي تنطوي على عملية تنقل اجتماعي، ذلك لأن المهاجر قد يحقق أثناء إقامته في منطقة المهجر مستوى من الحياة الاجتماعية ويصل إلى بعض المراكز ويتمتع بمكانة اجتماعية واقتصادية لم تكن له في المنطقة التي انتقل منها وهجرها".[1]

ومنه فالمهاجر هو من ينتقل من مكان إقامته العادي إلى بلد أخر حيث تتغير حياته بكاملها فتحدث تغيرا جذريا في أسلوب حياته.

وبالنسبة لمهاجري دول ساحل الصحراء هناك عدة تصنيفات لنوع المهاجرين لمدينة ورقلة :

أ_ مهاجروا الاستقرار: وهم المهاجرون الوافدون لمدينة ورقلة بنية العمل والاستقرار فيها لمدة تزيد عن السنة على الأقل.

[1] صابر عبد الباقي: ***علم اجتماع السكان، نظام التعليم المتطور للأنساب***، جامعة الملك فيصل، 1994، ص 40.

ب_ مهاجروا العبور: وهم الوافدون من دول ساحل الصحراء الذين يعتبرون مدينة أو منطقة ورقلة نقطة عبور للشمال، سواءا للاستقرار في مدن الشمال أو لمواصلة الهجرة نحو أوروبا.

ج_ المهاجرون الزائرون: هم مهاجرين من دول ساحل الصحراء وليس لهم مكان واضح للاستقرار، وتجدهم يتنقلون من مدينة إلى أخرى، ومدينة ورقلة هي إحدى المدن التي يقصدونها بنية جمع ما يستطيعون من أموال منها ثم التنقل لمدينة أخرى.

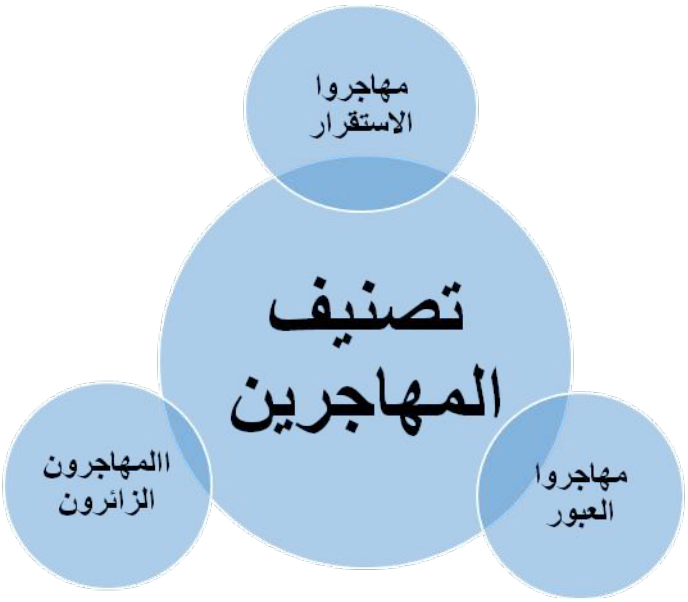

الشكل رقم(01): مخطط يلخص تصنيف المهاجرين

المصدر: إعداد الباحث.

5_3_ المعيش اليومي:

" المعيش هو التعبير الفينومينولوجي عن نمط حضور الأمر المتأمل في الوعي ونمط قيامه بغير الشروط الفعلية التي في الوجود الموضوعي المفارق. لكن المعيش الحقيقي أو المحض إنما يتميز عن المعيش الفعلي النفسي أو الطبيعي الذي يخص ذاتا نفسية أو إنسية/أنثروبولوجية أو حيوية / بيولوجية قائمة في الوجود

الموضوعي ومنقادة إلى شروطه وضروراته، والمعيشان متوازيان. والمعيشات تتباين وتتفاوت بتباين أنحاء الوعي وضروبه وهي تؤلف مساقا ينتظم حركتها وسيلانها الدائم ويخضع إلى قوانين الماهية التي تحدد العلاقات المثالية في بنية الوعي."[1]

يقول "جارفينكل" لعالم الاجتماع الذي يرغب في دراسة **الحياة اليومية** "انظر حولك"، وفي كل مكان، فسوف تجد أشخاصا عاديين يمارسون حياتهم بمختلف أوجه النشاط، وهذه القدرة على الدخول في صلات متبادلة من خلال تلك الأنشطة، هي التي تجعل العالم الاجتماعي ممكنا، وعليك كعالم اجتماع أن تأخذ هذه الأفعال الملموسة والمألوفة لدى الجميع، وان تفحصها لكي يتبين كيف تقع ولماذا؟[2]

في دراستنا هذه حاولنا التمييز بين اليوميات والمعيش، حيث تناولنا اليوميات على أساس الأفعال والممارسات التي يقوم بها المهاجرون في يومياتهم بمدينة ورقلة، سواءا كانت ضمن الواقع الاجتماعي أو ضمن الواقع الثقافي، أما بالنسبة للمعيش فقد تم ربطه بكل المؤشرات التي لها علاقة بتوفير مهاجري دول ساحل الصحراء للقمة عيشهم من عمل أو تسول أو مساعدات من طرف المجتمع المستقبل.

6_ مجال الدراسة:

6_1_ المجال الزماني:

لكل دراسة مجال زماني ينحصر ضمن إطاره وقت الانطلاق في العمل البحثي وتاريخ الانتهاء من تحرير الدراسة وإخراجها في صيغتها المادية الملموسة، ودراستنا هذه كان مجالها محصورا بين أواخر سنة 2018 ومنتصف سنة 2019 التي كانت تمثل فترة لملمة الموضوع ومعرفة أهم نقاط الانطلاق فيه، من خلال

[1] إدموند هوسرل: ***فكرة الفينومينولوجيا***، تر: د. فتحي إنقزو، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، آب (أغسطس) 2007، ص 132.

[2] محمد علي محمد: ***تاريخ علم الاجتماع***، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987، ص 414.

التزود بالقراءات حوله (قراءات استمرت طول فترة الدراسة) وكذلك الزيارات الاستطلاعية لميدان البحث لتفكيك شفراته ومعرفة باب الدخول إلى حصنه، وامتدت الدراسة إلى غاية أواخر 2022، فترة الانتهاء من عملية التحرير والطباعة.

6_2_ المجال المكاني:

أفضت مجموعة الخرجات الاستطلاعية الميدانية إلى تحديد نقاط تواجد المهاجرين والأحياء التي يقطنونها والحيز المجالي الذي يحوي تفاصيل معيشهم اليومي، وهذا ما يسمى بحقل الدراسة، ذلك أن "...للحقل غالبا قاعدة مجالية ملموسة، لكن حدوده ستكون مرسومة من الباحث"[1]، حيث تم حصر المجال المكاني للدراسة في أحياء وشوارع منطقة ورقلة وبعض البلديات المتصلة بها مجاليا (الرويسات، عين البيضاء)، حيث تم جمع المعطيات الإثنوغرافية وإجراء المقابلات مع المبحوثين في نقاط توزعهم على الأحياء السكنية التي يقطنون بها (منطقة الزاوية 02، حي الزياينة، سكرة، بوعامر)، بالإضافة إلى أماكن تواجدهم خلال ممارستهم لمختلف الأنشطة اليومية (الأسواق، ورشات العمل، المساجد، المطاعم، حقول الزراعة، واحات النخيل، محطات النقل، وسط المدينة...)، بالإضافة إلى أماكن مختلفة عشوائية والتي من بينها (القصر، حي المخادمة، حي النصر"الخفجي"، الشوارع والطرقات، مكاتب البريد).

[1] إيف وينكن: ***أنثروبولوجيا التواصل: من النظرية إلى ميدان البحث***، تر: خالد عمراني، ط1، المنامة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2018، ص 16.

خريطة 01: توضح مناطق سكن المهاجرين (من إعداد الباحث)

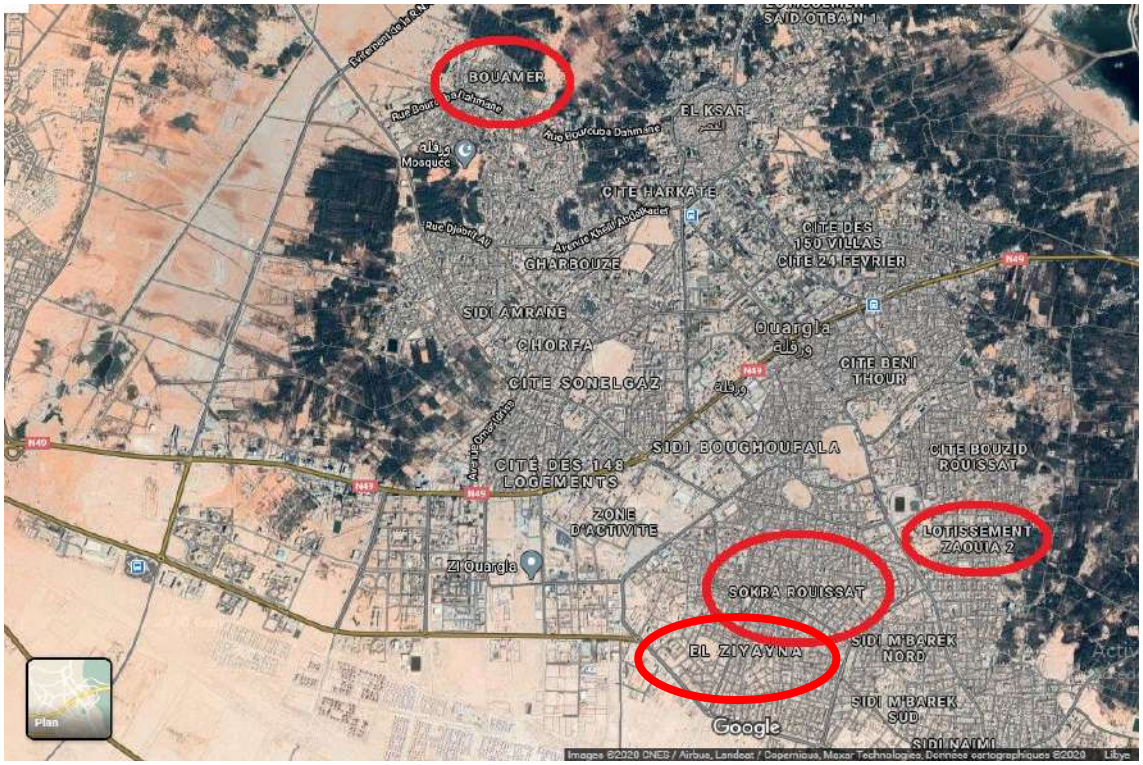

خريطة 02: توضح نقاط التواجد اليومي

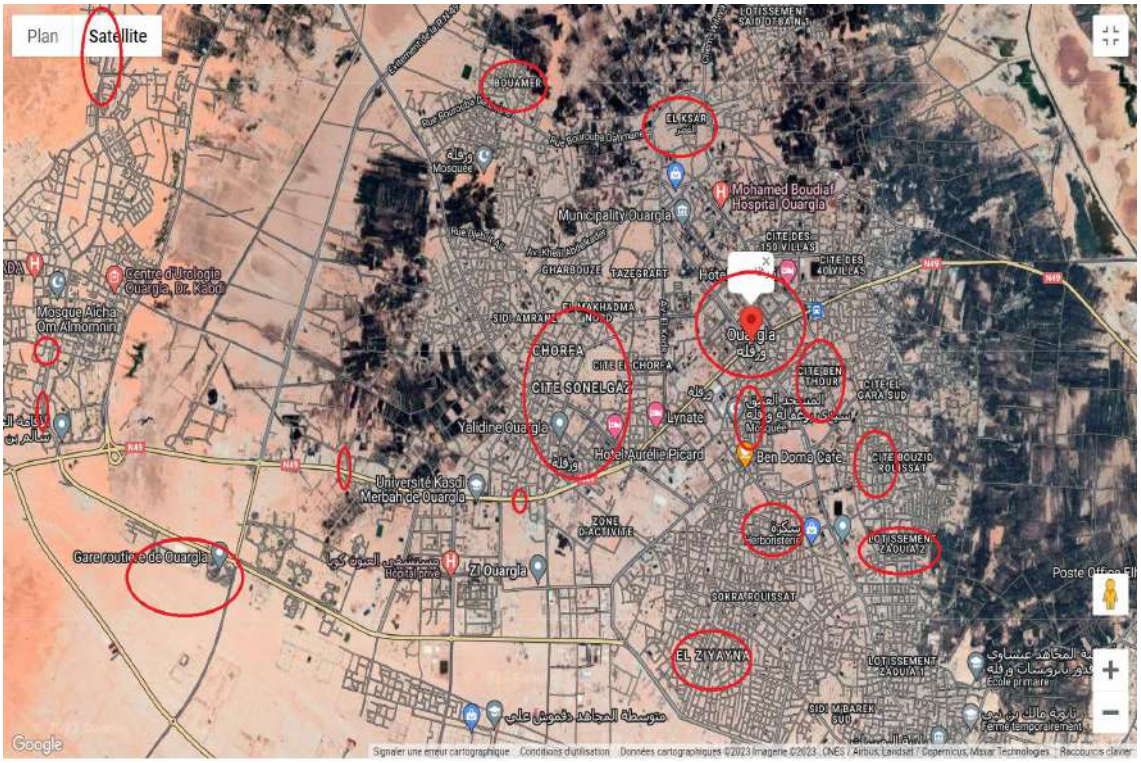

6_3_ المجال البشري (العينة):

إذا كان الشائع في البحوث الكمية ارتباطها بتقدير القواعد التقنية لعملية اختيار العينة بغية إثبات بعض المتطلبات الإحصائية مثل التمثيل والتعميم فإن الأدبيات المتخصصة في البحوث الكيفية تركز أكثر على مبادئ نوعية مثل الكفاية (Adequacy) والملاءمة (Appropriateness) بين نوع العينة وأهداف الباحث.[1]

إن المجتمع الأصلي في دراستنا هم مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، وقد فتحت الدراسة المجال لثلاث (3) فئات من أفراد العينة (رجال، نساء، أطفال)، وهم الفئات التي أجريت معهم مقابلات ميدانية سواءا بصورة جماعية أو فردية، حيث بلغ عدد المقابلات أكثر من 50 مقابلة، إلا أن العدد الممثل لأفراد عينة الدراسة هو 85 مفردة، وقد اختيرت العينة بطريقة عشوائية عرضية، حيث كانت الوسيلة المناسبة حسب رأينا لعدم وجود إحصائيات رسمية ثابتة أو تقارير تقدم لنا العدد التمثيلي لمهاجري دول ساحل الصحراء المستقرين في مدينة ورقلة، إضافة إلى أن نسبة التجانس بين مفردات العينة المدروسة كبيرة جدا، خاصة بين الأفراد ذوو الأصل الواحد (مهاجري النيجر مثلا)، يبقى الاختلاف قائم بين مهاجري دولة النيجر ومهاجري دولة مالي، هذا الاختلاف يتضح في أساليب المعيش والسمات الثقافية المصاحبة ليوميات كل فئة من الفئات المذكورة.

[1] Bourdieu, P ., Chambordedon, J.-C., et Passeron, J .,-C. (1973, 2005). ***Le métier de sociologue, préalables épistémologiques***, Paris : Mouton, 1973. 5éme Ed. Berlin, 2005.

7_ الكوكتال المنهجي للدراسة:

إن موضوع الدراسة (العنوان) والمقاربات النظرية المستخدمة والميدان عوامل أساسية وضابطة ومحددة لنوع المنهج المستخدم، وانطلاقا من قول "بول فيرابند" (إن تنوع الآراء سمة ضرورية للمعرفة الموضوعية، والمنهج الذي يشجع التنوع هو كذلك المنهج الوحيد الذي يساير النظرة الإنسانية)[1]، فان دراستنا هذه اعتمدت على ثلاث (3) مناهج رئيسية تندرج ضمن المناهج الكيفية، حيث اعتمدنا على المنهج الإثنوغرافي وهو أحد أبرز المناهج التي تستدعيها الدراسة الأنثروبولوجية بصفتها دراسة ميدانية، بالإضافة إلى المنهج الفينومينولوجي أو الظاهراتي الذي يعتبر من أبرز المناهج المستخدمة في مواضيع المعيش اليومي، وأخيرا المنهج الإثنوميتودولوجي، ذلك أن " الإثنوميتودولوجية هي اتجاه في الدراسة الاجتماعية تحاول أن توضح كيف يفهم الناس ما يقوله الآخرون ويفعلونه أثناء التفاعل الاجتماعي اليومي، وتهتم هذه المدرسة بالمنهجيات الجمعية أو الشعبية التي يستخدمها البشر في عمليات التبادل والتواصل ذات الدلالة فيما بينهم".[2]

---

[1] حسين الحريري ، ***"فيرابند بين الفوضانية والنسبوية"***، مقال منشور في مجلة الشرق الأوسط، العدد 13337، 04 جوان 2015.

[2] غدنز أنتوني: ***علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)***/ أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال، تر: د. فايز الصياغ، ط 4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 164.

7_1_ المنهج الإثنوغرافي:

..تتدخل الاثنوغرافيا في المرحلة الأولى من العمل الأنثروبولوجي، المرحلة "الميدانية"، بحيث أنه عندما نتكلم عن "منهج إثنوغرافي"، نقصد مجمل المناهج التجريبية –أو الطرائق– التي بواسطتها يقيم الاثنولوجي في حالة البحث الميداني العلاقة ذات المردود العلمي الأكثر بينه وبين ميدانه.[1]

تتصف الاثنوغرافيا التي تمثل فرعا من البحث الأنثروبولوجي بالدراسة المباشرة للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات العرقية. وتجمع هذه الدراسات بدرجات متفاوتة بين عناصر وصفية وأخرى تحليلية..[2]

يعتبر المنهج الإثنوغرافي منهج أساسي في الدراسات الأنثروبولوجية حيث أن" هذا المنهج من أشهر المناهج المستخدمة في الحصول على معلومات علمية دقيقة حول الظاهرة المدروسة، المبدأ العام المبني عليه هذا المنهج هو أن الباحث يحصل على المعلومات والبيانات حول الظاهرة الاجتماعية التي يريد دراستها من واقع الميدان ذاته، فقد بدأ الباحثون بتحديد مجال البحث بدقة وعناية وتحديد الظاهرة بكل تفاصيلها ودقائقها وبكل موضوعية وتجرد ثم أن الباحثين ارتحلوا إلى النظم الاجتماعية المراد دراستها وعاشوا بين أفرادها لمدة لا تقل عن سنة، بحيث يتمكن الباحث من إتقان لغة ذلك المجتمع وفهم دقائق علاقاته وعاداته وتقاليده ومعتقداته وشعائره، وكل ما يتصل بنظام حياته وهذا ما أطلق عليه بطريقة البحث الفعلي"[3]

---

[1] بيار بونت وميشال ايزار وآخرون: ***معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا***، تر: د. مصباح الصمد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت– لبنان، 2011، ص 24.

[2] شارلوت سيمور – سميث: ***موسوعة علم الإنسان – المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية***، تر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع باشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ع 2/61، ط2، 2009، ص 67– 68.

[3] بدوي عبد الرحمان: ***مناهج البحث العلمي***، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص05.

ومنه فالمنهج الإثنوغرافي يعتمد أساسا على تواجد الباحث في المجتمع المبحوث وعيشه معهم وتفاعله مع كل ما يدور في ذلك المجتمع. ويرتبط المنهج الإثنوغرافي ارتباطا وثيقا بالدراسات الأنثروبولوجية الميدانية، ذلك أنه يساهم في تلقي الباحث للمعطيات مباشرة من الميدان، كما يتم وصف الظواهر وصفا اثنوغرافيا يستند على أسس منهجيا وعلمية تعمل على تكوين صورة متكاملة حول الظاهرة أو المجتمع محل الدراسة.

لقد اعتمدنا على المنهج الإثنوغرافي بشكل خاص خلال الدراسات الاستطلاعية لجمع أكبر قدر ممكن من المعطيات حول مهاجري دول ساحل الصحراء (أماكن التواجد والسكن، أسباب الهجرة، ظروف المعيش اليومي، الفئات الموجودة، آليات التوزع والانتظام، ...الخ)، بالإضافة إلى تداخل المنهج الإثنوغرافي مع المنهجين الفينومينولوجي والاثنوميتودولوجي في الأدوات المستخدمة في الدراسة خاصة الملاحظة والمقابلة.

ولكن أكبر ما يميز الاثنوغرافيا عن غيرها من مناهج البحث هو دور "الفاعل الرئيسي" الذي يقوم بالملاحظة وإذا ما وضعنا هذا جيدا في اعتبارنا وتذكرناه دوما، فيمكننا الانتقال الآن لقضايا ومسائل أخرى.[1]

7_2_ المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتية):

إن ((منهج)) نقد المعرفة هو المنهج الفينومينولوجي، الفينومينولوجيا بما هي نظرية عامة في الماهية التي يدخل فيها علم ماهية المعرفة".[2]

[1] جيامبيترو جوبو: ***اجراء البحث الاثنوجرافي***، تر: محمد رشدي، مراجعة: أحمد زايد، ط1، المركز القومي للترجمة، مصر، 2014، ص 27.

[2] ادموند هوسرل: مرجع سبق ذكره، ص 32.

" الفينومينولوجيا: [لفظ] يدل على علم وعلى نظام من الميادين العلمية؛ غير أن ((فينومينولوجيا)) تدل كذلك وفي الأصل على منهج وعلى موقف للفكر: ((موقف الفكر الفلسفي)) بخاصة، و((المنهج الفلسفي)) بخاصة."[1]

" ..يشير مفهوم الظاهراتية عند هوسرل إلى محاولة وصف الأسس الجوهرية التي تشكل أعماق الخبرات الإنسانية بكل تفردها وخصوصيتها عبر تحليل أنشطة الحياة اليومية وخبراتها للكشف عن المعاني الكامنة خلف هذه الأنشطة والخبرات. ويؤكد هوسرل أن خبراتنا بالعالم من حولنا تعتمد على قدرتنا على فهم وإدراك هذه المعاني الكامنة، وتشكل هذه العملية الأساس لكل خبرة إنسانية، وعبر هذه الطريقة وحدها نكون قادرين على وصف الخبرات والظواهر وعلى تصنيفها وكما تتبدى لنا من خلال وعينا بها وعلى النحو الذي يجعلها واضحة ومعقولة ومفهومة لنا. وفي عبارة واحدة: إنها محاولة لوصف الكيفيات التي من خلالها يفهم الناس خبراتهم الحياتية وتأويلاتهم لهذه الخبرات".[2]

وعليه البحوث الفينومينولوجية تعرف على أنها البحوث التي تركز على استكشاف كيفية تشكيل البشر لمعنى الخبرات التي يمرون بها وتحويل الخبرة إلى وعي، بمعنى تحاول تقديم معنى مشترك لخبرات معاشة لعدد من الأفراد يمرون بمفهوم أو ظاهرة معينة وعليه يتمثل التساؤل الرئيسي الفينومينولوجي في **ما معنى وبنية، وجوهر الخبرات المعاشة بشأن ظاهرة معينة وفقا لفرد معين او مجموعة من الأفراد؟**[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 56.

[2] عبد الله شلبي: ***علم الاجتماع – الاتجاهات النظرية والاستراتيجيات البحثية***، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012 ص 250.

[3] عصام جمال، سليم غانم: ***تطبيقات منهجية البحث الفينومينولوجية في بحوث الادارة التعليمية***، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع 761، مصر، 2016، ص189.

مزايا	حدود
الفهم المعمق للتجارب الذاتية لعينة محدودة من الأفراد	عدم إمكانية التعميم إلا على عينة مماثلة
جمع البيانات ينطلق من البيئة البحثية الطبيعية دون إسقاط خلفيات نظرية عليها	خطر الوقوع في الانحياز النظري Biases من قبل الباحث
يساهم في تطوير نظريات جديدة	صعوبة التطبيق ويستلزم جهدا ووقتا مضاعفا من الباحث
هامش من الحرية في التطبيق	الاعتماد على مهارات الباحث التحليلية
إبراز الخصائص المختلفة والمشتركة لدى المشاركين	الاعتماد على قدرة المشاركين في التعبير عن تجاربهم

مزايا وحدود المنهج الفينومينولوجي[1]

ومن ذلك يمكن أن نعرف المنهج الفينومينولوجي على أنه ذلك المنهج الفلسفي الذي يهدف لوصف الأشياء دون أن يفترض لها مسبقا بناء مفهوميا ضمنيا، وذلك بهدف اكتشاف البناءات الفوقية للوعي التي تظهر لنا هذه الأشياء[2]، فهو منهج من مناهج البحوث الكيفية التي تركز على وصف الظاهرة من وجهة نظر الأفراد الذين يعيشونها أي أن يركز على الخبرة الإنسانية حسب Van Manen هي أساس البحث

[1] جميلة أحمد جابر: ***انتشار حركة الوصول الحر للنشر العلمي في البلدان العربية دراسة فينومينولوجية***، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانية في علوم الاعلام والاتصال، اشراف الدكتورة حسانة محي الدين، الجامعة اللبنانية، المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العام الجامعي 2017_2018، ص 104.

[2] لارامي ب: ***البحث في الاتصال***، تر: فضيل دليو وآخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، ط2، 2009، ص 233.

الكيفي وعليه فالمنهج الفينومينولوجي يقوم على شرح جوهر الخبرة الإنسانية من خلال مزج توصيفات الخبرات الفردية للظاهرة[1].

إن استخدامنا للفينومينولوجيا كمنهج من مناهج الدراسة في موضوعنا هو محاولة لنقل عالم المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء من كونها معطى موجودا إلى معطى ذو دلالة قد نوفق في جعلها علمية أو أكاديمية، ذلك أن عالم العيش " معطى لنا من قبل في نمطية أو نماذجية مألوفة، حتى أن مجهولاته إن هي غير آفاق غير مكتملة لمألوفاته بالذات، أن مجهولاته هي بدورها آفاق ذات نماذجية مألوفة"،[2] أي أننا نحاول الغوص في أعماق المجهول من عالم يوميات ومعيش هؤلاء المهاجرين لننتقل من غير المألوف إلى المألوف.

7_3_ المنهج الإثنوميتودولوجي:

تشير زينب شاهين بأن الاثنوميتودولوجيا تيار أسسه هارولد غارفينكل 1917-2011، تنخرط الإثنوميتودولوجيا أو كما يطلق عليها البعض" المنهجية الشعبية" أو"النظام الاجتماعي" في ما يسمى الميكروسوسيولوجيات، تقوم على مبدأ الانجاز الاجتماعي بفعل ممارسات معقولة يقوم بها الفاعلين الاجتماعيين، فالفاعل الاجتماعي يستعمل مجموعة من المعارف في إدراك وضعيته الاجتماعية ويقوم بوصف هذه الوضعية تبعا للسلوك الذي يباشره في الحياة اليومية. ومنه أتاح هذا التيار إعادة رسم خارطة التفكير السوسيولوجي الذي كانت تهيمن عليه الماكروسوسيولوجيا، فأعادت الاثنوميتودولوجيا الاعتبار إلى

[1] عصام جمال. سليم غانم: مرجع سبق ذكره، ص181.

[2] أنطوان خوري: ***مدخل إلى الفلسفة الظاهرياتية***، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، سنة 2008، ص 132.

الفرد في أدائه اليومي بعيدا عن الأوصاف العلمية الدقيقة التي تتحدث عن الفاعل الاجتماعي من منطق الإحصائيات والأساليب الرمزية المجردة[1].

إن النظرية الاثنوميتودولوجية تعد مقاربة منهجية تعتمد على الفهم والتفسير ووصف الظواهر بطريقة غير سطحية، لا تكتفي بالوصف فقط بل تتعدى ذلك إلى التحليل والتأويل، حيث يسعى الاثنوميتودولوجي إلى معرفة أفكار وقواعد سلوك المبحوث دون أي تدخل من طرف الباحث وهذا ما يتم تحقيقه من خلال الملاحظة، والمنهج التوثيقي.

يرى "جارفينكل" إن وظيفة عالم الاجتماع هي محاولة التعرف على الجوانب الخفية من الحياة الاجتماعية، تلك الجوانب غير المرئية والتي لا نشعر بها نظرا لأنها مألوفة جدا ومن ثم يجب الكشف عن هذه الجوانب وجعلها في متناول إدراك أعضاء المجتمع، ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق مخالفة القواعد او المبادئ الخفية بطريقة مفاجئة تجعلنا ندرك الجوانب المألوفة التي تختفي وراء السلوك، إذ أن مخالفة المألوف من شأنها أن تكشف عن وجوده ومثال ذلك أن يحاول الباحث تعمد التصرف كما لو كان غريبا مع أعضاء أسرته مع تسجيل رد فعل أعضاء الأسرة اتجاه سلوك الباحث، وبذلك يتمكن من التعرف على القواعد السلوكية المتفق عليها داخل الأسرة، ويتضح مما سبق تحيز الاتجاه الاثنوميتودولوجي للاتجاه الكيفي.[2]

[1] زينب شاهين: ***الاثنوميتودولوجيا رؤية جديدة لدراسة المجتمع***، مركز التنمية البشرية والمعلومات للطباعة والنشر، 1987، ص 59.

[2] احسان محمد الحسان: ***النظريات الاجتماعية المتقدمة***، ط3، دار وائل للنشر، 2015، ص 99.

تتناول الدراسات الاثنوميتودولوجية كل ما يحدث بشكل عملي في الحياة اليومية (أنشطة، مواقف...) وهي تولي هذه الأنشطة العادية الروتينية في الحياة اليومية نفس القدر من الاهتمام الذي توليه للأحداث غير العادية.

ومنه يشكل المنهج الاثنوميتودولوجي اتجاها أو تيارا من التيارات السوسيولوجية المعاصرة تطورت عن طريق هارولد جارفينكل H.GARFINKEL وأرون سيكوريل A.CICOUREL وتنخرط في مايسمى بالميكرو-سوسيولوجيات، حيث يهتم هذا الاتجاه بالكيفية التي من خلالها يضفي الناس معاني قرارات ودلالات بعينها، على أوضاعهم وحياتهم الاجتماعية في المواقف المختلفة وكيف يؤولون ويفسرون خبرات حياتهم الاجتماعية اليومية.

ينطلق هارولد غارفينكل ومن هم في محيطه من المبدأ الذي يقول إن كل مجموعة إجتماعية، هي مجموعة قادرة على فهم نفسها بنفسها وعلى تحليل وتأويل نفسها بنفسها. إن المناهج الإثنية هي إجراءات يقوم أعضاء مجتمع ما باستعمالها من أجل إنتاج العالم، من أجل معرفته وجعله عالما أليفا. إن تسمية << مناهج إثنية >> يعني تسجيل انتماء هذه المناهج إلى جماعة معينة، إلى تنظيم أو إلى مؤسسة محلية. فالمنهجية الإثنية تصبح بهذا المعنى دراسة للطرق الإثنية التي يستخدمها الفاعلون في ما هو يومي.[1]

تهتم هذه النظرية بدراسة الوحدات الاجتماعية الصغرى بعيدا عن ارتباطها بالبناء الاجتماعي للمجتمع والتباين شأنها أن تمدنا بتفاصيل مهمة وتتسم بالعمق والثراء البحثي؛ وعلى دراسة الظاهرة الاجتماعية كما تحدث في سياقها الطبيعي بطرق غير إحصائية أو كمية، للوصول إلى فهم أعمق وأشمل للظاهرة، وتمثل هذه النظرية المنهج الاستقرائي للبحوث التي تركز على التفاعل الاجتماعي، وتعتمد اعتمادا كبيرا على البيانات

[1] Alain Coulon, ***L'Ethnométhodologie***, PUF, Paris, <<Que sais-je?>>, 5e ed, 2002.

المستقاة من المقابلات والملاحظة التي تجمع وتحلل بطريقة استقرائية بعيدا عن الافتراضات المسبقة، أو الأطر الجاهزة كما تعتمد على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدرا مباشر للبيانات، وتستخدم الكلمات والصور وليس الأرقام (الاستبيان) تجمع البيانات من خلال هذه النظرية بالملاحظة المباشرة والمقابلة الحرة ومن خلال الطريقة التوثيقية للتفسير، كما **لا تبدأ من فروض بحثية ولكن بسؤال بحثي كبير ويلتزم الباحث الاثنوميتودولوجي بالدخول للعمل الميداني بصفحة بيضاء**، ودون أي تصور أو حكم مسبق لتلك الظاهرة، حتى لو كانت مألوفة ومفهومة بالنسبة له.

وتعد دراستنا من البحوث الاثنوميتودولوجية، التي حاولنا فيها فهم الواقع الفعلي ليوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في إطار سياقها الطبيعي، واستنادا على مبادئ وسمات هذه النظرية التي تحقق أهداف هذه الدراسة، من خلال البحث عن الدلالات في أفعال المهاجرين وممارساتهم اليومية، وهل هي دلالات فردية أم جماعية؟، من أين جاءت؟ فمثلا ممارسة التسول تختلف دلالتها من مهاجر إلى آخر، وتختلف من فرد (مهاجر) إلى جماعة (أسرة مهاجرة متسولة)، ذلك أن لكل جماعة طرق ومناهج في صنع الدلالة، كيف يتصرفون؟ لماذا يتصرفون؟ كيف يفهمون الأشياء الخاصة بهم؟ كيف يتم بناء عالمهم المعيش في ظل الهجرة وعدم الاستقرار؟.

8_ أدوات وتقنيات البحث الميداني:

8_1_ الملاحـــظة:

تعتبر من أهم الأدوات المنهجية المستخدمة في عملية البحث العلمي ومصدرا أساسيا للحصول على البيانات اللازمة للموضوع، وهي توجيه الحواس لمشاهدة ومراقبة سلوك معين وظاهرة معينة، وتسجيل ذلك السلوك رغبة في الكشف عن صفاته أو خصائصه بهدف الوصول إلى كسب معرفة جديدة عن تلك الظاهرة،[1] وهي من الطرق المهمة والأساسية في جمع المعلومات والحقائق من الميدان الاجتماعي ويستعملها كل من العالم الأنثروبولوجي وعالم الاجتماع في البحوث الميدانية التي يقومون بها والتي تتطلب منهم مشاهدة الظروف المادية والحضارية للمبحوثين والمشاركة في نشاطاتهم اليومية والإطلاع على معتقداتهم ومواقفهم وأغراضهم وطموحاتهم، "والملاحظة أن الباحث في هذه الطريقة يكون جزءا من الجماعات التي ينوي دراستها وذلك من خلال المشاركة مشاركة كاملة في حياتها وفعاليتها اليومية"[2].

وعلى الباحث خلال استخدامه الملاحظة التنبه لمتطلبات هذه التقنية لناحية:[3]

أ_ أن يتشابه وأفراد المجموعة التي سيدخلها.

ب_ أن يمتنع عن إعطاء أوامر ونصائح عندما يدخل المجموعة.

ج_ أن لا يخرق عادات وتقاليد الجماعة.

د_ أن يكون طبيعيا (لا منحازا / لا متأثرا / ولا مأخوذا بما يحصل...).

هـ_ أن يعمل على أن يكون مقبولا.

---

[1] عمار بوحوش وآخرون: ***مناهج البحث العلمي***، دار العلوم النشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2003 ، ص 102.

[2] إحسان محمد الحسن: ***الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي***، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1987 ، ص92 .

[3] مأمون طربيه: مرجع سبق ذكره، ص 270-271.

تم الاعتماد في دراستنا الميدانية على الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمعايشة بدل الملاحظة بالمشاركة، وهذا ما فرضه واقع المجتمع المدروس ونوع الممارسات الاجتماعية والثقافية التي يقومون بها، بالإضافة إلى صعوبة مشاركتهم في الكثير من الأعمال والأفعال من قبيل التسول أو البناء أو العتالة أو...إلخ، كما أن موضوع الدراسة يستلزم التتبع الدقيق لتفاصيل الحياة اليومية للمهاجرين وملاحظة سلوكاتهم وأفعالهم ومعايشة تفاصيلها البنيوية، وهذا ما يتماشى من الناحية المنهجية مع المناهج الكيفية المستخدمة في الدراسة، وتتبع الظاهرة في ظروفها الطبيعية وفي سياقها الواقعي والملاحظ.

استخدام الملاحظة مر بمستويات في التعاطي مع الميدان وأخذ المعطيات الإثنوغرافية منه، حيث تم التدرج في مستوى استخدام الملاحظة حسب مراحل الدراسة الميدانية، ففي المرحلة الأولى من الدراسة الاستطلاعية اكتفينا بالملاحظة البسيطة والمباشرة، وذلك لتحديد المجال المكاني وأخذ فكرة حول حدوده ونمط توزع المبحوثين، ثم توالت الزيارات الميدانية مما سمح لنا بالانتقال إلى معايشة الأحداث والتفاصيل اليومية لمجتمع الدراسة، وهذا ما أثرى مجموع الملاحظات المسجلة، كما سمحت الملاحظة بالمعايشة بتكثيف المقابلات والمحادثات مع المهاجرين.

8_2_ المقابلة:

المقابلة عملية مهنية يتم الاستعداد لإجرائها وفقا لأهداف واضحة ومحددة مع المبحوثين (فردا كان أم جماعة أم مجتمعا) وهي إحدى وسائل جمع المعلومات والبيانات من مصادرها، تتم بين طرفين الباحث والمبحوث، كما أنها فن مهني يعتمد على الخبرة التي تكسب الباحث الفطنة والمهارة التي تمكنه من التعرف على الظواهر والحالات وتحقق نتائج ومعالجات، فيها تطرح الأسئلة حتى يتم التعرف على المعلومة من مصادرها.

وتهدف المقابلة العلمية إلى التعرف على الظاهرة أو الموضوع، بالبحث عن العلل والأسباب من خلال التقاء مباشر بين الباحث والمبحوث، وتطرح في المقابلة أسئلة تهدف إلى إيضاح الحقائق من ذوي العلاقة بالحالة أو الظاهرة.[1]

هناك ثلاث (3) أنواع من المقابلة حسب نمط تطبيقها أو إجراءها:

أ_ مقابلة موجهة: يعتمد الباحث فيها على إجراء مقابلة مع المبحوث بحيث تكون أسئلته معدة مسبقا، وهي في الغالب تكون مجموعة نقاط إستفهامية ناتجة عن جمع للمعطيات (النظرية أو الميدانية) حول الموضوع المراد دراسته وإجراء مقابلات حوله، لكن تجدر الإشارة إلى أن أسئلة الباحث تكون شفهية ولا تسلم كتابيا للمبحوث.

ب_ مقابلة نصف موجهة: في هذا النوع من المقابلات تكون أسئلة الباحث خليط بين أسئلة معدة مسبقا (تم التحضير لها وإعدادها قبل المقابلة) وأسئلة آنية تحضر ذهن الباحث أثناء إجراءه للمقابلة.

ج_ مقابلة غير موجهة: هي مقابلة تحدث بين الباحث والمبحوث تكون أسئلة الباحث فيها آنية وعفوية وغير محضرة مسبقا، حيث يبادر الباحث إلى محاولة فتح مجال للحوار مع المبحوث وطرح مجموعة أسئلة حول الموضوع المراد دراسته، ويفتح كل سؤال المجال لطرح مجموعة أسئلة أخرى، ويتخلل تلك الأسئلة حوارات جانبية لخلق رغبة لدى المبحوث في استكمال المقابلة، وعدم التضييق عليه بخناق (سؤال/جواب).

لقد تم الاستعانة بنمط المقابلة غير الموجهة في دراستنا هذه، وهذا ما فرضه ميدان الدراسة وخصوصية المجتمع المدروس (المهاجرين)، ذلك أن فرص تكرار المقابلة مع نفس المبحوث شبه مستحيلة، وهذا ما شكل صعوبة في تحديد وإعداد أسئلة مسبقة قبل إجراء المقابلة.

[1] عبد الباسط محمد حسن: ***أصول البحث الاجتماعي***، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1975، ص 330.

حيث تم إجراء أكثر من 50 مقابلة جمعت بين المقابلات الفردية والمقابلات الجماعية، توزعت بين مقابلات مع المتسولين والمهاجرين العاملين ومقابلات في أماكن السكن والتواجد.

فئات المقابلة	نمط المقابلات		عدد المقابلات
	فردية	جماعية	
رجال	17	08	25
نساء	08	02	10
أطفال	4	11	15
			50

جدول (02) يوضح آلية إجراء المقابلات ونمط توزيعها حسب محاور الدراسة (إعداد الباحث)

تجدر الإشارة إلى أن عدد المقابلات لا يمثل عدد أفراد العينة، لأن المقابلات الجماعية كانت تحوي أكثر من فرد، وهو كما أشرنا إليه سابقا في تحديد المجال البشري وعينة الدراسة.

8_3_ الإخباريون:

بطبيعة الحال إن نجاح الدراسة الميدانية يتوقف إلى حد بعيد على حسن اختيار الإخباريين والتعاون معهم، فهم يمثلون حلقة الاتصال بين الباحث والمجتمع طوال فترة الدراسة ويعرف **جريك بايلي** الإخباريون بالقول: «إن الأشخاص الذين يسمحون له بالقيام بملاحظة سلوكياتهم يسمون الخبراء والإخباريين».[1]

[1] عبد الله عبد الغني غانم: ***طرق البحث الأنثروبولوجي***، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2004، ص 103.

قد يقدم أحد الإخباريون عونًا كبيرًا للباحث، ولكن هل يكون لكل إخباري يقع الاختيار عليه نفس الاهتمام بالموضوع الذي يقوم الباحث الميداني بدراسته؟

إذن من بين الأساسيات في البحث الأنثروبولوجي حسب كبار الأنثروبولوجيين يتمثل في استخدام إخباريين رئيسيين من هذا النوع كمصدر للمعلومات الإثنوغرافية، فالناس يتمايزون فيما بينهم بالنسبة إلى معرفتهم، وتفسيراتهم لنظمهم الاجتماعية والثقافية، كما يختلف الناس في اهتماماتهم وقدراتهم على التعبير اللغوي، وبالتالي لا يجد الأنثروبولوجي إلا عددا قليلا من الأفراد يصلحون كإخباريين ملائمين، إن البعض من قدرات الإخباري يكتشفها الباحث ذاته أثناء التدريب على تصوير المعلومات الثقافية في الإطار المرجعي الذي يستخدمه الأنثروبولوجي.[1]

لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة إخباريين محليين (من سكان المدينة) ساهموا في تسهيل عملية الوصول لعينة الدراسة والالتقاء بهم وعقد جلسات ومقابلات معهم، لعب فيها الاخباريون دور الوسيط بين الباحث والمبحوث، ذلك أن المهاجرين يرفضون التحدث مع كل غريب من باب الخوف أن يكون من مصالح الأمن، إلا أن ثقتهم ومعرفتهم بالاخباريين (سكان نفس الحي، أصحاب البيوت أو المستودعات التي كانت مأوى ومبيت للمهاجرين، أصحاب ورشات العمل ...) ساهم في درء ذلك الشعور بالريبة والخوف منا ولو بنسبة قليلة.

إضافة إلى الاخباريين من سكان مدينة ورقلة، فلقد اعتمدنا كذلك على اخباريين اثنين من المهاجرين أنفسهم، أحدهما من دولة مالي (موسى 34 سنة أعزب) والثاني من دولة النيجر (سالم 32 سنة متزوج)،

[1] درنوني سليم: ***العمل الحقلي في البحث الأنثروبولوجي***، مجلة أنثروبولوجيا، العدد 2، مركز فاعلون، الجزائر، 2015، ص 87.

لعب كل منهما دورا هاما في دراستنا من خلال الإشارة إلى أماكن تواجد المهاجرين وتسهيل التعامل معهم والتحدث إليهم، حيث ساهموا أيضا في ترجمة الحوار بيننا وبين المبحوثين.

8_4_ التصوير الفوتوغرافي:

يقول علاء جواد كاظم: " ما يميّز الصورة عن الحكاية إنما يتجسد في طبيعة اللغة المستخدمة في سرد الأحداث، ففي الوقت الذي تكتب فيه الحكاية المقروءة، أو المسموعة، بلغة لا يفهمها إلا المتحدثون بها فإن الحكاية التي تقدمها الصورة غالبا ما تكون مفهومة من قبل الجميع، بمعنى أن للصورة لغة عالمية لا تحتاج إلى ترجمة، وتشكل الصورة في التوصيف العام للأنثربولوجيا أعلى مراحل الوصف الإثنوغرافي الداعم للدراسات الميدانية، إذ تعتبر إلى جانب الوصف كإحدى الدعامات الأساسية للتيار الحداثي في الأنثربولوجيا، فهي أدوات للتعريف بالمكان على نحو موضوعي وإبداعي خلاق، وهي من التقنيات المتطورة التي تعتمد على بناء على واقع تعبيري للمكان ومكوناته ولأن (الصورة الفوتوغرافية) تشكل المحور الأكثر أهمية في العملية الاثنوغرافية فقد اعتبرت مصدرا موثقا له وزنه في جمع المعلومات الميدانية والبيانات الأولية".[1]

إذ يعد التصوير الفوتوغرافي أداة مهمة في البحث الأنثروبولوجي والذي يجسد المعلومات في شكل صورة، وقد ساعدتنا هذه الأداة في توثيق الخرجات الميدانية وإعادة استدراك ما قد يفوتنا من ملاحظات.

8_5_ التسجيل الصوتي:

يعد التسجيل الصوتي من تقنيات البحث الحقلي التي تساعد الباحث الإثنوغرافي في الحصول على معطيات ومعلومات حول موضوعه، من خلال تسجيل الحوار أو المقابلة القائمة بينه وبين المبحوث

[1] علاء جواد كاظم، ***الصورة حكاية أنثربولوجية***، www.essahafa.info.tn، يوم 2021/06/16

لاسترجاعها في فترات المراجعة والتحليل، ولقد تم الاستعانة بهذه الأداة في بعض مقابلاتنا المطولة سواءا مع المبحوثين أو الإخباريين، إذ ساعدنا التسجيل الصوتي في تجنب التدوين الذي قد يحجب عنا بعض النقاط أو التفاصيل خلال الحوار.

8_6_ مسودة الأفكار:

نقصد بها تلك المسودة التي يسجل فيها الباحث النقاط التي تراوده في لحظات زمنية دون سابق إنذار (قبل النوم، في السفر، أثناء التجول في صفحات الانترنت، مشاهدة الأفلام، حوار جانبي، .....)، حيث أن الباحث ومن كثرة شغفه ببحثه وميدان دراسته، يصبح أشد ملاحظة لكل المعطيات التي يمكن أن يكون لها علاقة بموضوع الدراسة التي هو في صدد إنجازها، فتراوده أفكار وحلول لاستشكالات كانت تواجهه في أوقات غير متوقعة خاصة قبل النوم، لعل الكثير منا حدثت له أن جاءته أفكار حول موضوع أو مسألة استشكالية ما في أوقات كان بعيدا كل البعد عن التفكير في ذاك الموضوع.

يعمد الباحث إلى تسجيل كل ما يطرق باب أفكاره من معلومات أو معطيات تخص موضوع بحثه في دفتر صغير يكون بحوزته دائما أو استخدام مفكرة الهاتف (Note)، للرجوع إليها في حالة احتاج لها في التحليل أو التحرير أو قد تساعده في الإجابة عن أسئلة كانت تراوده.

9_ الدراسات السابقة / التراث النظري:

ما يعرف عن الدراسات والبحوث العلمية هو تطرقها منهجيا إلى ما يسمى الدراسات السابقة، أو ما يعرف في البحوث السوسيولوجية والأنثروبولوجية بالتراث النظري، وهو تلك الأعمال والأبحاث التي تناولت الموضوع أو أحد متغيراته بالدراسة، فتكون أعمالا يمكن الاستفادة منها بشكل من الأشكال، إلا أن هذه الخطوة المنهجية تكون في الغالب في الدراسات التي تعتمد على الإمراد أو تكون انطلاقتها من التراث النظري السابق، أما الدراسات الميدانية والاستطلاعية فهي تأخذ كل موادها واستشكالاتها والإجابات

حول تلك الأسئلة التي أثارت انتباه الباحث خلال توغله في الميدان من الميدان ذاته، فتكون حبيسة ذلك الحيز المجالي والزمكاني والبشري للدراسة.

موضوع دراستنا يحاكي زوايا المعيش اليومي لفئة المهاجرين من دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، وبذلك فإن خصوصيته من ناحية الموضوع أو المقاربات النظرية (أنثروبولوجيا الحياة اليومية وأنثروبولوجيا الهجرة)، إضافة إلى تنوع المناهج المستخدمة وتحديد المجال البشري (مهاجري دول ساحل الصحراء) والمجال المكاني (مدينة ورقلة) يجعلنا من الناحية المنهجية في غنى عن الدراسات السابقة التي لا تتوافق مع تلك الخصوصية التي تميز موضوع دراستنا، ذلك لغياب دراسات أكاديمية أنثروبولوجية تناولت الموضوع في سياقه المكاني والبشري ذاته، باستثناء مقال الأستاذ الدكتور (عبد القادر خليفة) الذي كان تحت عنوان " مهاجروا دول ساحل الصحراء في مدن الصحراء الجزائرية: من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة – الجزائر)، وهي الدراسة الوحيدة التي تناولت نفس الفئة ونفس الحيز المجالي مع اختلاف الموضوع، حيث ركز الباحث في مقاله على إبراز نقاط رئيسة حول فعل ومسارات الهجرة، وسياسة الدولة الجزائرية بخصوص الهجرة (غير الشرعية)، كما أشار إلى تنوع تلك المسارات بين العبور إلى أوربا أو الاستقرار في الجزائر (خاصة مدن الصحراء)، ثم عرج الباحث على ذكر فئة المهاجرين المستقرين في مدينة ورقلة (وهم الفئة المعنية بدراستنا) من خلال تبيان ظروف السكن والإيواء، العمل والأنشطة التي يزاولونها، علاقتهم مع المجتمع المحلي، ثم ختم الباحث مقاله بطرح مقاربة سوسيولوجية لهجرة مواطني ساحل الصحراء.

وقد ساهمت هذه الدراسة (دراسة د. خليفة عبد القادر) في إعطاء صورة أوضح عن مجتمع البحث في موضوعنا، وكذلك كانت خارطة طريق لمسار البحث والغوص أعمق في مجال معيش مهاجري دول ساحل الصحراء ويومياتهم.

الفصـــــل الثاني

الفصل الثاني

البلد الأصل والمجتمع المستقبل

1_ منطقة دول ساحل الصحراء

1_1_ دول ساحل الصحراء

1_2_ الوضع الأمني لمنطقة ساحل الصحراء وتشكل فعل الهجرة

1_3_ الوضع الاقتصادي وفعل الهجرة

2_ مدينة ورقلة ملتقى مسارات الهجرة

2_1_ مونوغرافيا مدينة ورقلة

2_2_ ورقلة المدينة الجاذبة (قبلة المهاجرين)

تمهيد:

في هذا الفصل سنحاول التطرق إلى منطقة دول ساحل الصحراء، من خلال التركيز على دولتي مالي والنيجر والقواسم المشتركة بينهما، ثم الاشارة إلى كل من الوضع الأمني والوضع الاقتصادي في منطقة ساحل الصحراء ودورهما في تشكل فعل الهجرة.

أما المحور الثاني من هذا الفصل سنعرج فيه الى مدينة ورقلة باعتبارها منطقة الاستقبال، ابتداءا بمونوغرافيا عن المدينة تناولت تاريخ وجغرافية المنطقة، والتركيبة الاجتماعية المتفاعلة مع مهاجري دول ساحل الصحراء، ثم تبيان عوامل الجذب في مدينة ورقلة.

1_ منطقة دول ساحل الصحراء

1_1_ دول ساحل الصحراء :

إن الحديث عن منطقة دول ساحل الصحراء (ساحل الصحراء) يأخذنا إلى تبيان البعد الجغرافي والايكولوجي لهذه المنطقة، بالإضافة إلى البعد الإثني والعرقي الذي يعتبر أحد العوامل التي تتقارب فيه بعض دول المنطقة.

منطقة ساحل الصحراء تعتبر واحدة من أكبر المناطق في العالم إنكشافا نظرا لطبيعتها الصحراوية، التي تندرج بمنطقة الصحراء الكبرى كونها أكبر صحاري العالم بمساحة تقدر بـ 9 ملايين كلم مربع والتي تأخذ جزءا من الجزائر، النيجر، تشاد، مالي، موريتانيا، وبوركينافاسو وجزء من السينغال، بحيث تأخذ نسبة 70% من المساحة الاجمالية لمنطقة ساحل الصحراء امتدادا إلى نيجيريا وغامبيا وصولا لجزر الرأس الأخضر من الغرب وأثيوبيا وإيريتيريا من الشرق، والتي تتميز بمناخ جاف وجو حار نتيجة للأراضي الجافة والطبيعة الصحراوية في منطقة الصحراء الكبرى ومناخ شبه جاف بأجزاء من ساحل الصحراء.[1]

منطقة ساحل الصحراء تعتبر الحزام الفاصل بين دول شمال افريقيا ودول افريقيا الوسطى والجنوبية، حيث يرى الباحث "أندري بورجو Andre Bourgeot" "أنها عبارة عن صحراء ويشبهها بإقليم بدون حدود".[2]

أما من حيث المعطيات الديمغرافية فقد أبرز " جيرارد فرانسوا ديمونت Gerard Francois Demant" بأن منطقة ساحل الصحراء تتكون من دول شاسعة المساحة وهذا ما يتناقض مع المكونات

[1] Henri Plangol et Francois Lanche, "***La Situation securitaire dans les pays de la zone saharien"***, raport presente par les deputes a l'assemble national françaisz, N 4431, 6 mars 2012, p7.
[2] Andre Bourgeot, ***« Sahara : espace géostratégique et enjeux politique (niger) »***, Chaier des recherches CNRS laboratoire d'anthropologie sociale, Auterpart(16), 2000, p 43.

البشرية التي تحتويها، كون عدد السكان بالاجمال في كل دول ساحل الصحراء تقارب 80 مليون نسمة في حزام: موريتانيا، مالي، النيجر، التشاد والسودان.[1]

توجد 3 ثلاث دول محورية في القوس الممتد من السودان شرقا إلى موريتانيا غربا وهي مالي، النيجر، والتشاد التي سنستثنيها من العرض من باب الاكتفاء بما يخدم إشكالية الدراسة التي تدور حول مهاجري دولتي النيجر ومالي.

خريطة (03): توضح منطقة ساحل الصحراء[2]

[1] Gerard Francois Demant : ***« La geopolitique Des Poupilations Du Sahel »***, article present dans le caheir du CEREM (centre d'etudes et de recherches de l'ecole militaire, N13, 7 avril 2010.

[2] موقع الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ الزيارة : 28 اكتوبر 2021
https://www.politics-dz.com/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1-

1_1_1_ مالي:

مالي هي دولة إسلامية أفريقية، ومستعمرة فرنسية سابقة، تمتد على مساحة 1,240192 كيلومتر مربع لتحتل بذلك المرتبة 24 عالميا من حيث المساحة، تقع ضمن ما يعرف بمنطقة الساحل محاطة بسبعة بلدان تتقاسم معهم حدودا بطول 7243 كلم مما يعطيها أهمية استراتيجية خاصة.

تعتبر من دول مركز ساحل الصحراء نظرا لموقعها الجيو-استراتيجي، يتركز السكان في الجنوب بالعاصمة "باماكو Bamako" بتعداد سكاني يقدر بـ 15,4 مليون نسمة، وتنقسم إلى 3 ثلاث مناطق كبرى في هذه الدولة، حيث نجد إقليم الشمال التي تحتوي على "**كيدال**" ،"**غاو**"، و"**تمبوكتو**"، وإقليم الوسط التي تحوي على مناطق "**موبتي**"، "**سيغو**"، "**كوليكور**" وإقليم الجنوب الحيوي المشتهر بالزراعة الذي يحوي على العاصمة "**باماكو**"، "**سيكاسو**"، إضافة إلى منطقة "**كايس**" أما فيما يخص أكبر تركيز سكاني موجود بمنطقة "**سيساكو**"، ويعتبر صيد الأسماك والزراعة من الأنشطة الاقتصادية المهمة في المنطقة بما تحويه من نهرين حيويين هما "**نهر السينغال**" و" **نهر النيجر**".

تعد مالي من الدول المركبة عرقيا، وهذه الميزة تتصف بها معظم الدول في القارة الأفريقية، حيث تتكون من العديد من الإثنيات وهو ما جعلها عبارة عن فسيفساء من الأعراق تعيش في كنفها فمعظم السكان في مالي من الأفارقة الأصليين، ويكون **الفولان** وأقاربهم **التكرو** أكبر مجموعة سكانية في مالي، وينحدر أصل الفولان من الأفارقة والبيض، أما المجموعة الثانية من حيث الحجم فهم **الماندينجو**، وينقسمون إلى ثلاث مجموعات ثانوية هي: البمبارا والمالكيون والسوننكي، كذلك تضم المجموعات السكانية الكبرى في مالي الدوجن والسنغاي والفلتايك، وتشكل العناصر البيضاء 5% من مجموع السكان وهم العرب والأوربيون والفرنسيون خاصة المغاربة والطوارق، وتشكل مجموعة الماندي mande نحو 50% من إجمالي سكان

مالي، أما البول Peul فنحو 17%، والفولتايك نحو 12%، والسنغاي نحو 6%، والطوارق والعرب نحو 10%، والمجموعات العرقية الأخرى نحو 5%.[1]

1_1_2_ النيجر:

بلد غير ساحلي وهو من البلدان الأقل نموا وبلدان العجز الغذائي المنخفضة الدخل، دولة تشكل جزءا من الصحراء الكبرى في غرب إفريقيا ليس لها منفد بحري وعاصمتها نيامي Neyami وهي أكبر مدينة، ومساحة هذه الدولة 1267000 كلم مربع ويقدر عدد السكان حسب إحصائيات 2009 بتعداد 15,306252 نسمة بكثافة سكانية تقدر بـ 12 نسمة في الكلم المربع، وتعتبر من أفقر دول العالم بالرغم مما تحتويه من ثروات باطنية غير مستغلة مثل اليورانيوم، الفحم، والحديد، يتشكل سكانها من أغلبية إسلامية[2]، وهو ما جعلها تنخرط لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وتصنف من ضمن آخر 10 دول في تقرير التنمية البشرية لسنة 2013 محتلة بذلك المرتبة 186.

القواسم المشتركة بين مالي والنيجر:

"تشترك النيجر ومالي في العديد من الخصائص المشتركة، تقع كلتا الدولتين على الحزام الساحلي، وكانتا مستعمرتين سابقتين تابعتين لفرنسا وحصلتا على استقلالهما في عام 1960. تشترك كلتا الدولتين في مستويات منخفضة من التنمية البشرية، وشهدتا عقودا من الحكم الاستبدادي قبل التحول إلى الديمقراطية، وتعرضتا للعديد من الانقلابات العسكرية ضد القادة العسكريين والمدنيين، وتناولتا مشكلة الانقسام بين الشمال والجنوب، والتي تعرض فيها الشمال لنقص في الفرص الاقتصادية والخدمات الأساسية والبنى

---

[1] أحمد إيدابير، ***مالي التعدد الإثني والتحدي الأمني: دراسة في كرونولوجيا النزاع من 1963 إلى 2012***، مجلة آفاق علمية، مجلد 9، ع 2، 2017، ص 255.

[2] مصطفى بخوش: "***منطقة ساحل الصحراء بين الأبعاد الجيوسياسية والاعتبارات الجيواقتصادية***"، مجلة العالم الاستراتيجي، مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008، ص21.

التحتية. وتشير التقارير إلى أن الطريق بين العاصمة نيامي والمركز الحضري الرئيسي في الجزء الشمالي من البلاد، أغاديس، في حالة سيئة اليوم عما كان عليه منذ 20 عاما."[1]

التشابه بين مالي والنيجر	الاختلاف بين مالي والنيجر
_الموقع: كلتا الدولتين تقعان في الحزام الساحلي. **_الاستعمار: كانت كل من مالي والنيجر مستعمرتين تابعتين لفرنسا.** **_الاستقلال: لكل من مالي والنيجر 1960م** **_التنمية البشرية: في كل من مالي والنيجر ذات مستوى ضعيف.** **_طبيعة الحكم: شهدت الدولتين الحكم الاستبدادي وبعده الحكم الديمقراطي.** **_الجانب الأمني: تعرضت مالي والنيجر للعديد من الانقلابات العسكرية.**	_ النيجر أكثر استقرارا من مالي _ النيجر أكثر صلابة من الناحية الهيكلية من مالي.

الجدول رقم(03): يوضح أوجه التشابه بين مالي والنيجر_ المصدر: إعداد الباحث

1_2_ الوضع الأمني لمنطقة ساحل الصحراء وتشكل فعل الهجرة:

تشهد منطقة ساحل الصحراء توترا أمنيا متصاعدا بسبب انتشار مجموعة من التهديدات الأمنية، التي من بينها نشاطات الجماعات الإرهابية، وتزداد هذه الوضعية تعقيدا مع تنامي نشاطات الجريمة المنظمة مثل تهريب الأسلحة والمخدرات والاتجار بالبشر وتهريبهم عبر حدود بلدان المنطقة، حتى أن منطقة ساحل

[1] ستيفاني بيزارد، مايكل شوركين: ***تحقيق السلم في شمال مالي، الاتفاقيات السابقة والنزاعات المحلية وآفاق التسوية الدائمة***، مكتب الشؤون الإفريقية للنشر، 2015، ص 62.

الصحراء أو ساحل الصحراء أصبحت تعرف ب "(قوس الأزمات) انطلاقا من الأزمات المستعصية بالسودان وتشاد، وصولا إلى الشروخات الداخلية والتهديدات الأمنية التي تعرفها مالي والنيجر وموريتانيا".[1]

كما تلعب النزاعات الاثنية والانفصالية في منطقة ساحل الصحراء دورا كبيرا في هذا التدهور الأمني، حيث تعرف منطقة ساحل الصحراء العديد من التوترات والاضطرابات، إضافة إلى التعدد الإثني، هذا بالإضافة إلى تدخل أطراف خارجية في الأزمات الداخلية، الأمر الذي يجعل الوضع أكثر تأزما، وتعتبر كل من دارفور والتشاد وأزمة الطوارق من أهم الأزمات الداخلية في ساحل الصحراء. المشكلة في ساحل الصحراء هي كيفية تحقيق الانسجام ما بين الجماعات الإثنية العديدة التي تتكون منها هذه المنطقة، ولاسيما أن لكل جماعة من هذه الجماعات ثقافتها ولغتها وديانتها الخاصة، وخاصة أنها تعيش تحت وطأة ظروف التخلف والتهميش، الأمر الذي يجعل من عملية تحقيق الوحدة الوطنية في غاية الصعوبة والتعقيد.

ولعل من أبرز تلك النزاعات هي ما يعرف بقضية الأزواد بمالي، حيث ظهرت قضيتهم إلى العلن بعد قيام ما يعرف باسم الحركة الوطنية لتحرير الأزواد التي تسعى إلى تأسيس دولة مستقلة ذات هوية تارقية، واتخذت من اسم الإقليم اسما لها، وهي مكونة من قبيلتين إيفوغاس وبلبتيل، أما بقية القبائل التارقية الأخرى فهي رافضة للحرب، وغالبية أصول سكان الأزواد ترجع إلى القبائل المهاجرة من موريتانيا وشمال افريقيا.

حيث يعتبر البعدان الإثني والديني محددين أساسيين في تفسير الأزمة في مالي بدليل وجود عوامل إثنية ساهمت بشكل كبير في تصعيد الأزمة إلى نزاع مسلح. فالأقليات ليسوا بالضرورة جماعات غير مسيطرة، ذلك أن هناك أقليات عديدة تحتكر السلطة، وتسيطر على الأوضاع الداخلية، ومع ذلك لا يشكل هذا

[1] امحند برقوق: ***ساحل الصحراء بين التهديدات الداخلية والحسابات الخارجية***، مجلة العالم الاستراتيجي، الجزائر، مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008م، ص 2.

الوضع النموذج المسيطر على الواقع الإفريقي، أي ليس بالضرورة أن الأقلية العددية هي التي تسيطر وتحكم. فعادة ما كانت تخضع هذه الأقليات إلى التهميش والإقصاء.[1]

وتشكل الحياة القبلية، التي يغلب فيها الولاء للقبيلة على الولاء للوطن، عاملا مهما، خصوصا أن بعض القبائل المستوطنة بالمنطقة لها امتدادات عابرة للأوطان، كقبائل الطوارق، والبامبارا، والسونغاي، والبولسالكانوري، والهاوسا، ما أثر مباشرة في تماسك الوحدة الوطنية، وأدى إلى ضعف الدولة، الأمر الذي جعل الدولة القائمة على أنقاض مخلفات الاستعمار لا تقوم بدورها في المنطقة، والمتمثل أساسا في دعم الإحساس القومي بالانتماء والولاء للوطن الذي تمارس عليه الدولة سيادتها، ومن ثم لم تنجح في تبني سياسات أمنية قادرة على مواجهة الجريمة المنظمة.[2]

إن ما تشهده منطقة ساحل الصحراء من تدهور في الوضع الأمني وعدم استقرار، هو من أبرز العوامل الدافعة للهجرة، فأصبح شمال القارة وخاصة الجزائر قبلة وملاذا للعديد من سكان منطقة ساحل الصحراء، الباحثين عن مكان آمن لهم ولأسرهم، وعن جغرافيا تحتويهم وتوفر لهم مصادر وسبل عيش في أمن وأمان، وعلى الرغم من صعوبة التنقل بين البلد الأصل والبلد المستقبل، إلا أن عنصر المجازفة والمغامرة يكون بديلا لعنصر الحياة الصعبة في حد ذاته.

1_3_ الوضع الاقتصادي وتشكل فعل الهجرة:

تنتج الهجرة غالبا لأسباب اقتصادية، فبالرغم من تعدد أسباب الهجرة، إلا أن الدوافع الاقتصادية تأتي في مقدمة الأسباب نتيجة تدني الوضع الاقتصادي في البلدان المصدرة للمهاجرين، التي تشهد قصورا في

---

[1] بوريب خديجة: ***الدبلوماسية الأمنية الجزائرية في منطقة ساحل الصحراء- الواقع والرهانات***، المجلة العربية للعلوم السياسية- لبنان، المجلد/العدد 41/42، 2014، ص 28.

[2] منصور لخضاري: ***ساحل الصحراء وبناء الأمن الوطني الجزائري***، إصدار مديرية الاعلام والاتصال والتوجيه، الجزائر- المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2012.

عمليات التنمية، وقلة فرص العمل، وانخفاضا في الأجور، بالإضافة إلى الحاجة إلى الأيدي العاملة في الدول المستقبلة للمهاجرين.[1]

وأهم الأسباب الاقتصادية:

_ الفقر والعوز المادي وسوء الأحوال الاقتصادية في البلد المتسلل منه.

_ تدني مستوى المعيشة، وضعف القوة الشرائية.

_ تدني مستوى الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين.

_ الرغبة في تحقيق الكسب السريع عن طريق الاشتغال بالتهريب وترويج البضائع والأشياء المهربة بالدولة المتسلل إليها.[2]

ما سبب هجرتك(م) من بلدك ومجيئك للجزائر؟ سؤال تم طرحه في جل المقابلات التي أجريناها مع مهاجري دول ساحل الصحراء (مالي-النيجر)، وانصبت أغلب الإجابات في خانة **تحسين المستوى المعيشي**، وهذا ما كرره المهاجرون من دولة مالي، حيث تبين لنا أن الدافع لفعل الهجرة عند مهاجري دولة مالي هو تحسين المستوى المعيشي والحصول على أعمال تضمن لهم ذلك، لكن هناك فئة كبيرة من مهاجري دولة النيجر، حددت إجاباتها في البحث عن لقمة العيش، وهذا ما ذكره (**موسى 41 سنة من النيجر**)[3] وغيره حيث قال (**جيت للجزائر باه ناكل ونوكل أولادي...في النيجر ماكانش ماكلة**)، هنا يظهر لنا الفرق بين الدافع لفعل الهجرة من المنظور الاقتصادي بين مهاجري دولة مالي ومهاجري دولة

---

[1] نور عثمان الحسن محمد، ياسر عوض الكريم المبارك: ***الهجرة غير المشروعة والجريمة***، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2008، ص 24.

[2] ابراهيم بن محمد بن علي العايدي: ***أثر التنسيق بين الأجهزة الأمنية في المنافذ البرية في الحد من عمليات التهريب والتسلل***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1995، ص ص 45-46.

[3] مقابلة مع (موسى 41 سنة من النيجر) بتاريخ: 17 جانفي 2020.

النيجر، فالفئة الأولى دافعها تحسين مستوى العيش، والفئة الثانية دافعها تحصيل لقمة العيش، وهذا ما يتجلى أمبريقيا في نمط اللباس والأكل وأنواع الأعمال الممارسة من طرف كل فئة، وهو ما سيتم التفصيل فيه في باقي فصول وعناصر الدراسة.

إن البحث عن تحسين المستوى المعيشي عند بعض مهاجري دولة مالي يمكن إدراجه ضمن النظرية الكلاسيكية الجديدة المهيمنة على المنظور الاقتصادي في فعل الهجرة، حيث "تفترض النظرية الكلاسيكية الجديدة بأن الأفراد يتطلعون إلى أكبر قدر من الفائدة. فالأفراد يبحثون عن الدولة، التي ستهيئ لهم المزيد من الرفاهية. هناك عدة عوائق لهذا البحث منها موارد الفرد المالية، ولوائح تنظيم الهجرة، التي تفرضها الدول المتنافسة، والمضيفة للمهاجرين، وكذلك لوائح التنظيم التي تفرضها دول المنشأ"[1]. إلا أن في السياق الأنثروبولوجي لهذه الزاوية من موضوع الوضع الاقتصادي وتشكل فعل الهجرة لا يمكن تعميم ما ذهبت إليه النظرية الكلاسيكية الحديثة، خاصة مع تقاطع واختلاف الدوافع بين المهاجرين من دولة مالي فيما بينهم وبينهم وبين المهاجرين من دولة النيجر، كما.."يبدو أنه من الغريب أن نتعامل مع المهاجرين كما لو أنهم أفراد لاعبون في السوق، وأن لديهم معلومات كاملة عن الخيارات المتاحة لهم، وحرية الإختيار العقلاني. ففي الواقع، إن المعلومات المتاحة لهم محدودة، بالفعل، ومتناقضة في كثير من الأحيان، كما أنهم يخضعون لمجموعة من القيود (خاصة الشعور بالضعف أمام أرباب العمل والحكومات). ينال المهاجرون تعويضا عن ذلك بتطوير رأس مالهم الثقافي والاجتماعي.

علاوة على ذلك، فإن المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجي وعلماء الاجتماع وعلماء الجغرافيا قد بينوا أن سلوك المهاجرين يتأثر بشدة بالتجارب والأحداث التاريخية وكذلك بديناميكيات الأسرة والمجتمع".[2]

[1] ستيفن كاستلز، مارك ميللر: ***عصر الهجرة***، تر: منى الدروبي، ط 1، المركز القومي للترجمة، 2013، ص 78.
[2] ستيفن كاستلز، مارك ميللر، مرجع سبق ذكره، ص ص 79-80.

كما أسلفنا في الذكر، فإن تدني الواقع المعيشي والاقتصادي لدول ساحل الصحراء هو من الدوافع الأساسية لهجرة مواطني المنطقة، فالفقر وقلة الموارد أسباب دفعت سكان المنطقة للبحث عن سبل لتوفير أو تحسين الواقع المعيش، "وترجع أسباب ظاهرة الفقر إلى عدة عوامل، نذكر منها: الجفاف الناتج عن قلة الأمطار، والتصحر الذي ضاعفه قطع الغابات، إضافة إلى غزو الجراد، وضعف الأداء الاقتصادي، أي الاعتماد على آليات قديمة في الإنتاج الزراعي، فالنيجر –مثلا- لا تزال تعتمد على آليات لم تتطور منذ 4 قرون، وكذلك الاعتماد على المحاصيل التصديرية الموجهة للخارج على حساب المحاصيل الزراعية المستهلكة".[1]

إن الحديث عن تأزم الوضع الاقتصادي لدول منطقة ساحل الصحراء، وتشكل الدافع لفعل الهجرة الفردية أو الجماعية، يحيلنا بالضرورة إلى التساؤل **عن استمرارية الهجرات من دول ساحل الصحراء نحو الشمال؟ هل ينتقل الضرر الاقتصادي لبلدان ساحل الصحراء إلى البلدان المستقبلة للمهاجرين منها؟ ما هي الآليات التي يمكن وضعها للاستفادة من هؤلاء المهاجرين؟** مجموعة كثيرة من التساؤلات تفتح المجال للمختصين في المجالات الاقتصادية والاجتماعية للبحث فيها ووضع حلول للمشاكل المترتبة حولها.

2_ مدينة ورقلة ملتقى مسارات الهجرة

2_1_ مونوغرافيا مدينة ورقلة:

في هذا العنصر من الدراسة نبحث عن إعطاء لمحة عامة عن مدينة ورقلة في سياقها التاريخي وواقعها الجغرافي (تضاريس المنطقة، مناخها)، مرورا بالتركيبة الاجتماعية لهذه المدينة باعتبارها منطقة تشهد تنوع كبير في التركيبة الاجتماعية، ناهيك عن دورها كمنطقة عبور واستقرار للمهاجرين من خارج الوطن وداخله.

[1] التقرير الاستراتيجي الافريقي، مركز البحوث الافريقية، جامعة القاهرة، سبتمبر، 2002، ص 266.

2_1_1_ ورقلة التاريخ والجغرافيا:

في ظل غياب المصادر التي درست بعمق تاريخ هذه المنطقة – ورقلة –، يبقى الترجيح والتأويل هو الغالب في كتابات المؤرخين المختصين في تاريخ المدن والحواضر، حيث وجدت تضاربا في كتابتهم حول تاريخ تأسيسها، فهناك من يرجعها إلى العصور الحجرية، في حين ترجعها طائفة أخرى إلى فجر التاريخ، وهناك من يرجعها إلى الفترة القرطاجية والنوميدية، ويرجعها عدد كبير من المؤرخين إلى الفترة الإسلامية[1].

تذهب بعض المراجع إلى القول بأن تأسيس مدينة ورقلة يعود إلى العصور الحجرية، ويعللون ذلك بوجود أدوات حجرية صنعها الإنسان القديم بهذه الجهة، يعود بعضها إلى العصر الحجري القديم، والبعض الآخر إلى العصر الحجري الحديث، وبكميات كثيرة جدا، حيث لا تخلوا منها جهة من الجهات الأربعة المحيطة بالمدينة على شعاع طوله 40 كلم.[2]

فعلا إن الإنسان القديم مر بهذه الجهة ولم يشيد أي مدينة، ولم يترك أي عمران، بل كان إنسانا جوالا، لا يمكث كثيرا في منطقة حتى يغادرها، ولم يعيش حتى في شكل تجمعات بشرية كبيرة، مع الإشارة أنه بدأ يعرف نوعا ما الإستقرار، وذلك من خلال استعماله الكهوف والمغارات الموجودة بأعالي ورقلة بمنطقة " بامنديل " في العصر الحجري الأخير، وخاصة في المنطقة التي تعرف باسم كهف السلطان، على بعد حوالي 20 كلم جنوب غرب ورقلة، وسبق وأن زار هذه الكهوف الرحالة الفرنسي **Largeau** سنة 1877 م، ووجد فيها كهوفا يصل عمقها إلى 30 متر وتحتوي على طوابق وغرف، وأخذ مقاييس إحدى هذه

---

[1] ذكار أحمد: ***مدينة ورقلة التسمية والتأسيس دراسة تاريخية***، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17، جامعة ورقلة، 2014، ص 164.

[2] بوجوراف بلال: ***المجال والهوية في حواضر الصحراء الجزائرية***، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، سنة 2022، ص 78.

الغرف فوجد ارتفاع الغرفة المحفورة في الجبل يصل إلى 1.70 متر، وطولها 3.90 متر وعرضها 2.75 متر، وكما اكتشف كتابة باللغة العربية لم يستطيع أن يفهم منها إلا لفظة الجلالة – الله –[1].

بينما يذهب الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان – الذي عاش في القرن 16 م – إلى أنها مدينة نوميدية، أسسها النوميدون في صحراء نوميديا، حيث قال: (وركلا، مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الحجر الني، ودور جميلة ويوجد في ضواحيها عدة قصور، وعدد لا يحصى من القرى)، إن المتتبع لما قال الحسن الوزان يستنتج من كلامه أنها كانت مملكة قوية، ومحصنة بسور له أبواب، وعاصمة لمجموعة من القصور والقرى المجاورة لها، والثراء ظاهر عليها وعلى سكانها، ولكنه لم يقدم أي سند على أنها تعود إلى الفترة النوميدية، في حين ترى أغلب المراجع أنه ابتداء من نهاية القرن الأول قبل الميلاد وتحت ضغط الاحتلال الروماني، حلت أفواج من البربر إلى الصحراء، ولم تستطيع العودة لكون الجهات الشمالية محاصرة من طرف الجيوش الرومانية، فسكنت أولا منطقة الزاب وما لبثت أن عمرت كل الوديان، والمنخفضات التي تقع إلى غرب والجنوب الغربي من الزيبان، من وادي ريغ إلى غاية حاسي ريرة Rirha، الذي يقع على بعد ثلاثين مرحلة جنوب غرب ورقلة، وأسسوا مع بداية التاريخ الميلادي في منخفض وادي مية من قارة كريمة غربا إلى فران شرقا، ما يزيد على 365 قرية، لم يبق منها الآن إلا أقل من ثلثها، هذا ما يؤكد رأي عبد الرحمان ابن خلدون، حين يقول أنها بنيت من طرف قبائل بني وركلا، القادمين من زناتة، أي أنهم زحزحوا من طرف الرومان إلى هذه المنطقة، أين (اختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمانية مراحل من بسكرة، في القبلة منها ميمنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرانها، فائتلفت وصارت مصر)، في حين يرى الرحالة Largeau أن ورقلة لم تؤسس إلا مع قدوم العرب الفاتحين إلى المغرب سنة 666م، وشنوا حربا على الأهالي وحاصروهم في قارة كريمة، حصارا طويلا دام ما يقارب

[1] ذكار أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 165.

الشهر، وبعد أن يئسوا رفعوا الحصار وغادروا المنطقة، فنزل الأهالي إلى الوادي مرة ثانية، فوجدوا أن قراهم قد هدمت، ونخيلهم قد قطعت، فقامت امرأة منهم يقال لها ورقلة، فبنت كوخا إلتف حولها الناس، وشيدوا ديارا تلاحمت مع بعضها البعض وتأسست بعد ذلك المدينة، ويبدوا لي –الأستاذ ذكار أحمد– أن هذه المعلومة أقرب منها إلى الأسطورة من الواقع، أن هذه الغزوة التي يذكرها قد تكون من حثالة الرومان الباقية لكون الأسلوب الذي سلكه هؤلاء الغزاة ليس من أسلوب المسلمين في عملية الفتح، بالإضافة أنها وقعت سنة 666م في حين أن الفتوحات إلى أعماق الجزائر كانت على يد عقبة بن نافع سنة 64هـ/ 684م[1].

ويرى الأب جون " ليتليو " Jean Lethielleux أن تأسيس ورقلة لم يكن إلا سنة 108 هـ /726 م، على يد الشيخ حادور Hadour القادم من الزنجبار مع جماعته، أين استقر وأسس المدينة الجديدة، وأقام فيها مع العبيد الذين جلبهم معه.[2]

تقـع منطقة ورقلة ضمن نطاق الصحراء الكبرى الممتدة من الأطلس الصحراوي جنوبا وأطراف الهضاب العليـا، وحسب الجغرافيين فورقلة تقع في قلب الصحراء المنخفضة المعروفة بمياهها الجوفية الارتوازية القريبة من السطح، وبالتحديد في الحوض الشرقي الكبير الرابط ين الحدود التونسية والجزائرية، والذي يمتد عل طول 800.000 كلم مربع، ويقدر مخزونه بـ 1.800, 000 مليون م3، وينخفض سطحه إلى 35م عند شط ملغيغ الواقع بين مدينة بسكرة ومدينة الوادي بالجزائر، وشط الجريد بتونس بالقرب من مدينة قفصة، ويبلغ ارتفاعه من 12 – 15م عن سطح البحر، وهي المنطقة التي أرادت فرنسا ربطها بالبحر الأبيض المتوسط وإدخال مياه البحر إلى الحدود الجزائرية عبر منخفضات تونس.

[1] ذكار أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 165.

[2] Jean Lithelleux, ***ouargla cite saharienne***, des origines au debut de xxe siecle, paris, 1984, p.19. 20.

وحوض ورقلة يبلغ طوله 30 كلم، وعرضه يتراوح بين 12 و18كلم، وارتفاعه بين 103 و150م فوق مستوى سطح البحر، يمتد بين هضبتين، الأولى تحّده من الغرب، ارتفاعها 230م، والثانية من الشرق بارتفاع يناهز 160م،كما تؤكد الدراسات الجيولوجية أن الحمادات والعروق وبعض الرمال تغلب عل سطحها.

أما من ناحية الحدود الإدارية، فورقلة كمدينة حاليا، تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 800 كلم^2، ويحدها من الشرق الحدود التونسية، ومن الجنوب الغربي إيليزي وتمنراست، ومن الشمال الشرقي وادي ريغ وبسكرة والوادي، ومن الشمال الغربي غرداية والجلفة والمنيعة، وهي تتربع على مساحة تقدر 163233 كلم^2.[1]

يعتبر موقع مدينة ورقلة استراتيجي بكل المقاييس، فهي في آخر نقطة عامرة بالسكان والمياه بالنسبة للقادم من الشمال والأطلس الصحراوي، وبين العرق الشرقي الكبير والغربي الكبير، وأول مركز عمران مهم وآمن يلقاه القادم من الجنوب المنهك من قطع الفيافي والبيداء الصحراوية الخالية من السكان إلا بعض الرحل، فالذي يصلها كمن يصل الميناء بالنسبة لراكب البحر، كما أن ورقلة تقع على مسافات متقاربة الطول بين تونس – تيهرت – تلمسان – بجاية – طرابلس – قابس – غدامس، وكل الطرق إليها سهلة باستثناء بجاية، هذا الموقع جعلها حلقة وصل بين المدن الواقعة في سواحل المغرب، ومدن الهضاب العليا من جهة، والسودان الذي يعني ما نسميه اليوم – مالي والنيجر وتشاد ونيجريا وغانا – من جهة أخرى،

[1] رضوان شافو : ***الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا*** ، دار المحابر، الجزائر، ط1، 2015 ، ص 49-50 .

مما جعل الصحراء الكبرى تتحول بفضل ورقلة إلى وسيلة اتصال وليس حاجز انفصال، وبرز ذلك بصفة أهم في زمن الدولة الرستمية وما بعدها في عهد ازدهار سدراتة.[1]

إن كل هذه الخصائص التاريخية والجغرافية لمدينة ورقلة جعلت منها منطقة جاذبة للهجرة الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى أنها تعتبر ملتقى لأغلب مسارات الهجرة والتجارة بين الشمال والصحراء الكبرى، وهذا ما أدى إلى تشكل خليط إثني لساكنة المدينة والمهاجرين إليها.

2_1_2_ التركيبة الاجتماعية المتفاعلة مع المهاجرين:

التركيبة الاجتماعية لمدينة ورقلة تتكون من المجموعات الاجتماعية التالية:

- ✓ **مجموعة البدو المتمدنين**: الرويسات، المخادمة، بني ثور، سعيد عتبة.
- ✓ **مجموعة السكان المحليين**: بني سيسين، بني إبراهيم، بني واقين (القصر التعتيق).
- ✓ **مجموعة الوافدين الجدد**: المتواجدون في منطقتي سكرة وحي النصر.[2]

وفي هذا الصدد حول تنوع المجموعات الاجتماعية المشكلة للتركيبة الاجتماعية لمدينة ورقلة، يذهب الباحث (بلال بوجوراف) إلى أن"..هذا اللاتجانس في التركيبة الاجتماعية لمدينة ورقلة، وارتباطها بمجالاتها العمرانية، جعل من " الهوية الاجتماعية " مشهدا حاضرا في المعيش اليومي، إن التنقل من حي إلى حي آخر يجعلك تشعر بتلك الحدود الاجتماعية والثقافية بين الأحياء، والتي هي حدود افتراضية، وليست حدود فيزيائية، لا توجد حواجز محسوسة بينها، وترتبط هذه الأحياء ببعضها في نسيج عمراني واحد، فالتنقل من حي سعيد عتبة إلى القصر العتيق يشعرك وكأنك انتقلت إلى مدينة أخرى، وعلى بعد أمتار من

---

[1] مزهودي مسعود مزهودي: ***الإباضية في المغرب الأوسط***، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1996، ص 122.

[2] قصي عطية: ***بنية الأسرة وتحولات السكن والتساكن في الفضاء الصحراوي الجزائري***، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر ، 2020، ص67.

القصر العتيق ستجد محطة الترامواي، ليأخذك بعد دقائق إلى حي النصر "الخفجي" أين العدد الهائل من العمارات وتركيبة سكانية من مختلف ولايات الوطن، شكلت لهذا الحي هوية حضرية و"اجتماعو – مجالية" تشعرك وكأنك انتقلت لمدينة من مدن الشمال، ورغم هذا التنوع إلا أنه مجتمع متكامل اجتماعيا وثقافيا في إطار المجتمع الجزائري العام".[1]

ساهمت هذه التركيبات الاجتماعية التي تتسم بخصوصيات سوسيو-ثقافية تمظهرت على الحيز العمراني والمجالي، في ضبط فضاءات التفاعل اليومي للمهاجرين داخل مدينة ورقلة، حيث لاحظنا من خلال الخرجات الميدانية أن هناك مناطق تشهد تواجد كبير ومكثف للمهاجرين ومناطق أخرى على النقيض من ذلك (أنظر خريطة التواجد اليومي للمهاجرين داخل مدينة ورقلة).

وبالعودة إلى التركيبة الاجتماعية للبدو المتمدنين والحيز المجالي لكل قبيلة من القبائل الأربع (الشعانبة، بني ثور، المخادمة، سعيد عتبة)، فإن تواجد المهاجرين من دول ساحل الصحراء في مناطق مثل الزياينة والكاتشوما وعين البيضاء وتفاعلها مع الفاعلين الاجتماعيين لتلك المناطق، وعدم أو قلة تواجدهم بصورة ثابتة في مناطق مثل المخادمة وسعيد عتبة راجع إلى "التبعثر السكاني لبعض القبائل كالشعانبة وبني ثور في كل أحياء المدينة، ومحافظة قبيلة المخادمة وسعيد عتبة على تركيبتهم السوسيومجالية"[2]، في حين أن القصر العتيق كفضاء عمراني ومجالي يمثل تركيبة السكان المحليين، هو فضاء للتفاعل اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء، وهذا راجع لعدة عوامل من أهمها محافظة أهل القصر على تركيبتهم السوسيو-مجالية مثلهم مثل قبيلة المخادمة وسعيد عتبة، وأيضا طابع المدنية الذي يعرفه القصر والمتميز باحتوائه للآخر منذ تأسيسه،

[1] بلال بوجوراف: مرجع سبق ذكره، ص208.

[2] المرجع السابق، ص207.

فهو مسرح للتفاعلات اليومية بين مختلف الفئات والمجموعات الاجتماعية الوافدة على مدينة ورقلة (رحالة، تجار، مسافرين، عابري سبيل...إلخ).

وكما عبرنا عنها، فإن مدينة ورقلة هي ملتقى مسارات الهجرة، سواءا هجرة داخلية أو هجرة خارجية، وهنا نقطة تلاقي مهاجري دول ساحل الصحراء في التفاعل اليومي مع التركيبة الاجتماعية المتمثلة في الوافدين الجدد، فكلا طرفي معادلة التفاعل من المنظور الأنثروبولوجي هو مهاجر، وهذا ما خلق نوعا من القبول للمهاجرين من طرف الوافدين الجدد، فكل يرى صورته كغريب عن المدينة لدى الآخر، وخاصة أن المصطلح المحلي الذي يطلق على فئة الوافدين الجدد، هو مصطلح "البرانية"، أي الغرباء عن المدينة.

ومنه فإن الواقع الاجتماعي لمدينة ورقلة كان له دور في تحديد وضبط آليات تفاعل مهاجري دول ساحل الصحراء ضمن فضاءاتها، خاصة من خلال خصوصية كل تركيبة من التركيبات الاجتماعية المشكلة للمدينة.

2_2_ ورقلة المدينة الجاذبة (قبلة المهاجرين):

مدينة ورقلة خلال تاريخها الحضري الطويل كانت مدينة استقطاب وجذب للوافدين، بسبب موقعها المحوري الذي تلتقي به الطرق الصحراوية القديمة، الخاصة بالقوافل التجارية وقوافل الحجيج، وكذلك باعتبارها بوابة السودان الغربي مصدر تجارة العبيد والذهب خلال القرون الوسطى، والمكان المفضل للباحثين عن الأمن والفارين من الاضطرابات التي عرفتها مدن الشمال، ثم لتشهد خلال القرن 19 والنصف الأول للقرن 20 حالة ركود وتراجع، ثم تأتي اكتشافات حقول النفط سنة 1956 لتعيد لها مكانتها الاقتصادية من جديد، وتستقطب الشركات البترولية، ومختلف المشاريع التنموية في كل القطاعات الكوادر واليد العاملة، وخلال الأزمة الأمنية التي عرفتها البلاد أو ما يعرف بالعشرية السوداء (1990 –

2000) كانت مدينة ورقلة منطقة آمنة مقارنة مع المدن الشمالية، وهو ما دفع بعدد كبير من سكان الشمال للقدوم لورقلة والإقامة بها، والكثير منهم فضل الاستقرار بها حتى بعد عودة الأمن ونهاية الأزمة.[1]

هذه العوامل التي كانت سببا في جذب الوافدين المحليين من الشمال الجزائري إلى مدينة ورقلة، هي ذاتها عوامل جذب للمهاجرين من دول ساحل الصحراء، حيث أصبحت مدينة ورقلة وما تشهده من تنمية في الكثير من القطاعات الاقتصادية والخدماتية **قبلة** للهجرة الداخلية والخارجية على حد السواء، وحتى أن الكثير من المعطيات الإثنوغرافية في موضوع دراستنا تشير إلى أن التفاعل بين المهاجرين والوافدون لمدينة ورقلة يمثل النسبة الأكبر من صور التفاعل العام داخل الفضاء العمومي في مدينة ورقلة، ناهيك عن أن أماكن إقامة المهاجرين ومناطق سكنهم هي أحياء يقطنها الوافدون مثل (حي سكرة، الزياينة، بوعامر، بامنديل، حي النصر).

ورقلة أم الزوالي... ورقلة بلاد الخدمة... وعبارات كثيرة تسمعها ممن عايش أو يعيش في مدينة ورقلة، وهي عبارات لها دلالة على القيمة التي تمثلها المدينة للوافدين لها (هجرة داخلية/ هجرة خارجة)، فمدينة ورقلة تعتبر مصدر رزق لطالبي العمل في كل المجالات، فهي ومنذ تأميم المحروقات تشهد تسارعا رهيبا في وتيرة التنمية، وكل زيادة في قطاع من القطاعات يؤدي بالضرورة إلى تطور وزيادة قطاعات أخرى موازية، فمثلا كلما زاد عدد الطلبة الجامعيين كلما زادت المطاعم ومحلات الوجبات السريعة والمقاهي ومكاتب خدمات الإعلام الآلي، ويمكن تعميم ذلك على باقي القطاعات والمؤسسات على اختلاف نشاطاتها (اقتصادية كانت أو خدماتية أو أمنية)، والزيادة هنا تستدعي دائما توفير الأيادي العاملة والمؤهلة على اختلاف المستويات، وهذا بالضرورة يدعوا إلى استقطاب طالبي العمل من مختلف جهات الوطن أو من

[1] المرجع السابق، ص 166.

خارجه، وعلى سبيل المثال تجد أن أغلب عمال ورشات البناء والأعمال التي تحتاج إلى أيادي عاملة بسيطة هم من مهاجري دول ساحل الصحراء (أنظر الفصل الخامس).

في سنة 1959م رقيت ورقلة إلى مركز مقاطعة (عمالة) للواحات، تغطي النصف الشرقي للصحراء الجزائرية، ومنذ 1974 و1984م فإن تقسيم المقاطعة إلى 10 ولايات، دفع بالسلطات لأن تقرر إنشاء تنسيقية مابين الولايات لبعض المؤسسات، وبالطبع اختيرت ورقلة لتقوم بهذا الدور، فهي مقر محافظة برنامج منطقة الجنوب الشرقي، والمقر الجهوي للديوان الوطني للإحصاء (ons)، ومقر الوكالة الوطنية للموراد المائية، ومحافظة التنمية الفلاحية في المناطق الصحراوية، فضلا على أنها مقر الناحية العسكرية الرابعة (تنضوي تحت سلطتها 6 ولايات)، كما نجد عددا من المديريات الخدمية (الخزينة، الجمارك، الضرائب) وعدد من الوكالات الجهوية للمؤسسات التي استعادت عبرها ورقلة ثانية وظيفة جهوية تامة، وفي نفس الوقت، فإن الاكتشافات البترولية ابتداء من 1956م، أدت إلى أن تختص ورقلة وحاسي مسعود في مجال الهيدروكربونات التي بعثت نموا في هذين المركزين الحضريين وفي المنطقة (بنى تحتية وتجهيزات)، وبقوة عددية للسكان 250.000 نسمة (و ما يقارب 680266 نسمة سنة 2017، الدليل الإحصائي2018)، عادت ورقلة لتصبح ثانية المدينة الأكثر اكتظاظا من حيث السكان في الصحراء الجزائرية – إذا استثنينا بسكرة– وبكل هذه المعطيات احتلت مرتبة العاصمة الصحراوية.[1]

كل هذه المعطيات والمؤشرات المرتبطة بعملية التنمية بمدينة ورقلة هي في ذاتها عوامل ساهمت في خلق مجال تتقاطع فيه كل من الهجرة الداخلية لسكان الوطن (خاصة من الشمال)، والهجرة الخارجية من الدول المجاورة والتي من أهمها دول ساحل الصحراء (خاصة مالي والنيجر)، بالإضافة إلى أن هذه التقاطعات من

[1] مارك كوت: ***الجغرافيا المصغرة لمنطقة ورقلة***، تر الهادي دادن، منشورات جمعية الثقافة والإصلاح، ورقلة، 2016، ص 12.

وجهة نظر أنثروبولوجية هي تقاطعات حتمية استدعتها الحاجة إلى الآخر، فعملية التنمية في حد ذاتها هي تفاعل بين التقليدي والحداثي، بين القلة والكثرة، بين المعرفة والعمل، بين رأس المال واليد العاملة...، فمشاريع البناء مثلا وهي كثيرة بمدينة ورقلة تحتاج لمقاولين من داخل وخارج المدينة، وكل شركة مقاولات تحتاج إلى عمال من كل الفئات، فتجد مقاول من مدينة معينة لديه عمال من مدن أخرى، ولديه عمال من مهاجري دول ساحل الصحراء، فتكون بذلك ورشة البناء التي تمثل حيزا مجاليا بمدينة ورقلة نقطة تقاطع أو ملتقى الجذب للهجرة والمهاجرين.

خلاصة:

ان الوضع الاقتصادي والأمني لدول ساحل الصحراء وخاصة دولتي مالي والنيجر يعتبران أهم العوامل الدافعة لفعل الهجرة، وفي الجانب الآخر فإن المميزات التي تمتاز بها منطقة ورقلة الجغرافية والاقتصادية وما توفره من سبل عيش للوافدين إليها، هي عوامل جذب للهجرة الخارجية والداخلية على حد السواء، ومنه تنشأ علاقة بين البلد المنشأ أو البلد الأصل مع البلد والمجتمع المستقبل أساسها فئة تبحث عن الحياة في صورتها البسيطة، لكن عبر مسارات صعبة وواقع مجهول.

الفصـــل الثالث

الفصل الثالث

الهجـــــــــرة في حوض الصحراء الكبرى

1_نافذة مفتوحة على ظاهرة الهجرة

2_ مسارات العبور – الحق التاريخي والواقع السياسي

3_ الصورة النمطية والمخيال الثقافي للهجرة

تمهيد:

نسعى من خلال هذا الفصل إلى تفحص ظاهرة هجرة مواطني دول ساحل الصحراء نحو الشمال وخاصة المهاجرين المستقرين في الجزائر (الوافدين لمدينة ورقلة أنموذجا)، وذلك من خلال تتبع البعد التاريخي والواقع الجيو-سياسي لهذه الظاهرة، عن طريق تبيان تغير الفعل وصفته في السياق الكرونولوجي بفعل مجموعة مؤثرات، ثم التطرق إلى محاكاة الصورة النمطية لفعل الهجرة والمخيال الثقافي لها، وهذا بعد الابتداء بمدخل للهجرة وتصنيفاتها.

1_ نافذة مفتوحة على ظاهرة الهجرة:

يوجد من يصنف الهجرة إلى ثلاث تصنيفات أخرى:

_"على أساس المكان الذي يتم الانتقال إليه.

_ على أساس إرادة القائم بها.

_ على أساس الزمن الذي تستغرقه هذه العملية.

1_1_ على أساس المكان: (المكان الذي ينتقل إليه الفرد) وهنا تنقسم الهجرة إلى نوعين هما:

1_1_1_ الهجرة الداخلية :وهي تشير إلى عملية انتقال الأفراد والجماعات من منطقة إلى أخرى داخل المجتمع أو إلى منطقة أخرى في نفس هذا المجتمع. وتتميز الهجرة الداخلية بأنها تأخذ تيارات واتجاهات عكسية، بمعنى أن مناطق طرد السكان تجذب في نفس الوقت مهاجرين إليها، كما أن مناطق الجذب السكاني تطرد السكان إلى خارجها. وهذا النوع الأكثر انتشاراً وذلك للعوامل التالية: قلة التكاليف – عدم وجود مشكلة اللغة – الاستعداد النفسي لها – عدم وجود مشكلة التأشيرة وتنقسم الهجرة الداخلية إلى نوعين:

1-هجرة من إقليم إلى آخر أو من ولاية إلى أخرى داخل الدولة الواحدة وبين منطقتين يحملان نفس الصفات الثقافية والحضرية.

2-هجرة من الريف إلى الحضر، وهي من أشهر أنواع الهجرات وأوضحها. وتزداد هذه الظاهرة داخل المجتمعات كلما زادت المدن من خصائصها كمراكز جذب وكلما اتسع نطاق مراكز الصناعة الجديدة في الوقت الذي يزداد فيه سكان الريف عن حاجة العمل الزراعي الحقيقي."[1]

[1] سعد الكرعاوي، ***الهجرة: الوفيات والطبقات الاجتماعية***، علم اجتماع السكان، دت، ص02

فأول هذه التصنيفات هي الهجرة على أساس المكان الذي ينتقل له المهاجر، وفيها نوعين للهجرة هما الهجرة الداخلية والتي تتم في إطار البلد الواحد على اختلاف المناطق والمساحات الجغرافية والهجرة الخارجية وهي هجرة تكون خارج إطار البلد الأصلي للمهاجر.

1_1_2_"الهجرة الخارجية :وهي تشير إلى انتقال عدد من أفراد المجتمع إلى مجتمع آخر طلبا للعمل أو فراراً من اضطهاد أو تطلعاً لفرص أحسن في الحياة. وتنحصر الهجرات الخارجية أو الدولية الرئيسية التي شهدها العالم في العصر الحديث فيما يلي:

_ الهجرة الأوربية الدولية فيما وراء البحار إلى أمريكا.

_ الهجرات الدولية داخل أوروبا.

_ الهجرات الأفريقية.

_ الهجرات الأسيوية.

وقد مرت تيارات الهجرة إلى أمريكا بفترات ثلاث:

-كانت الفترة الأولى من الأيرلنديين بسبب مجاعة البطاطس والألمان الذين تركوا بلادهم غالبا بحثا عن اللجوء السياسي.

-والفترة الثانية من الايطاليين وسكان شرق أوروبا.

-والفترة الثالثة كانت خلال الحرب العالمية الثانية والتي تزايد على إثرها معدل المهاجرين إليها من مختلف أنحاء العالم. أما الهجرة الأفريقية فكانت جبرية في معظمها."[1]

[1] المرجع السابق، ص03

وتتم الهجرة الخارجية من بلد لآخر ويكون الدافع فيها عدة أسباب منها: الحروب، النزاعات السياسية، الفقر والبطالة، البحث عن فرص أفضل للعيش....

1_2_على أساس إرادة القائم بها: وتتم من أجل عدة رغبات يأمل المهاجر في تحقيقها منها: التعليم، المتعة، الحصول على حياة أفضل، الحصول على الأمن....

1_3_على أساس الزمن الذي تستغرقه هذه العملية: وهي المدة التي يقضيها المهاجر في هجرته (دائمة، مؤقتة).

1_4_ تأثير الهجرة:

هناك جملة من الآثار التي تخلفها الهجرة على كل المجالات ومن بين هذه الآثار نذكر مايلي:

- "الآثار الاقتصادية في البلاد المستقبلة وتتمثل في زيادة استثمار الموارد الطبيعية واكتساب أيدي عاملة جديدة حيث أن المهاجرين اغلبهم من الذكور في سن العمل.
- الآثار على تركيب السكان وتتلخص هذه الآثار في النوع والعمر وبالتالي من حيث الخصوبة والزواج حيث يلاحظ زيادة نسبة الذكور وارتفاع نسبة متوسطي العمر.
- نقص حجم العمالة في الريف.
- تركز العمال في المدن والإنتاج الصناعي.
- ظهور الكثير من المشكلات مثل الإسكان والمواصلات ومؤسسات الخدمة العامة والترفيه."[1]

وهذه الآثار تعود على الدولة التي يهاجر لها المهاجرون ومنها أثار اقتصادية وأخرى على تركيبة السكان.

[1] صابر عبد الباقي، ***علم اجتماع السكان***، جامعة الملك فيضل، دت، ص46.

1_5_ أنواع الهجرة: تتمثل أنواع الهجرة في:

أ_ الهجرة الداخلية:"وهي هجرة السكان من منطقة إلى أخرى في نفس وطنهم أي تكون في داخل حدود الدولة ومن الأمثلة عليها الهجرة التي تحدث فيها هي الهجرة من الريف إلى المدينة.

ب– الهجرة الخارجية:

وهي هجرة الأفراد من وطنهم إلى دول أخرى أي تكون خارج حدود الدولة أما أن تكون الدولة قريبة آو تكون الدولة بعيدة عن دولتهم الأصلية.

ج– الهجرة السرية:

وهي من أخطر أنواع الهجرة إذ تعتمد على الهروب السري من دولة إلى أخرى دون استخدام وثائق ثبوتية أو إي أوراق رسمية وينتج عليها كثيراً من الأمور السلبية مثل موتهم الوشيك أو القبض عليهم وتعرض حياتهم للخطر".[1]

الشكل رقم(02): مخطط توضيحي لأنواع الهجرة_المصدر: إعداد الباحث.

[1] عبد الحكيم أمين: ***الهجرة اشكالات وتحديات***، موسوعة العربية العالمة، الكويت، 2008، ص 11.

2_ مسارات العبور – الحق التاريخي والواقع السياسي:

انتقال الأفراد والجماعات ضمن الحيز الجغرافي لمنطقة ساحل الصحراء لم يكن في الماضي ظاهرة تستدعي استنفار المؤسسات للتعامل معها، سواءا المؤسسات الأمنية لدول المنطقة أو المؤسسات الأكاديمية والبحثية أو حتى الاجتماعية (القبائل المتوزعة ضمن هذا الإطار الجغرافي)، ذلك أنه عبر التاريخ وقبل تشكل مفهوم الدولة الحديثة (ما بعد الكولونيالية) ذات الحدود الجيوسياسية، كان انتقال الأفراد أمرا طبيعيا وعاديا بين الحواضر الشمالية والجنوبية لحوض الصحراء الكبرى، وكانت منطقة ساحل الصحراء مجالا طبيعيا وبشريا لممارسة النشاط التجاري المتمثل في مقايضة شتى أنواع المنتجات كالملح والجلود والتبغ، بالإضافة إلى الخضر والفواكه (المانغا الموسمية والأناناس) والتمور والنفائس من الذهب والفضة، ويعود تاريخ هذا النمط من التبادلات التجارية إلى قيم وعادات "الطوارق" المنتشرون ضمن حيز جغرافي كبير يشمل مجموعة من بلدان المنطقة (الجزائر، تونس، ليبيا، النيجر، مالي، السنغال..).

أفاضت المصادر التاريخية العربية في الحديث عن المبادلات التجارية البالغة الأهمية بين الشمال الأفريقي من جهة والمناطق الأفريقية المحيطة بجنوب الصحراء الكبرى –ساحل الصحراء– والتي كانت تعرف ببلاد السودان من جهة أخرى، وكانت تصدر إلى الشمال عدة منتجات من أهمها الذهب الذي اشتهرت بتوفره فيها، كما أنها تستورد من الشمال كثيرا من المنسوجات والمواد المصنوعة والكتب، ومعدن الملح.[1]

ويبدو أن هناك مدنا كثيرة نشأت عن طريق الحركة التجارية بين السودان الغربي وشمال أفريقيا لخدمة التجارة وبأثر من التجارة نذكر منها على سبيل المثال ورقلة، تقرت، توات، غدامس، سجلماسة وتادمكة

[1] محمد أحمد شفيع: ***التواصل الحضاري العريق بين المناطق الافريقية شمال الصحراء الكبرى وجنوبها***، أعمال ندوة التواصل، ص 166.

وولاته، وغيرها وكان للتجار في هذه المراكز وكلاء وأدلاء وفنادق تؤوي بضائعه وحضائر لجمالهم، وبفعل هذه التجارة نشأت لدى السكان تقاليد في المعاملة ثابتة، فهم يستقبلون القوافل بالترحاب وأحيانا بالدفوف فيستفيدون منها ويتعايشون من تجارتها معهم.[1]

يظهر لنا في هذا السياق التاريخي للمعاملات التجارية التي كانت بين حوض ساحل الصحراء ومناطق الشمال كيف تشكلت الروابط بين المنطقتين، فمدينة ورقلة التي هي الآن منطقة استقبال لمهاجري دول ساحل الصحراء كانت بالأمس منطقة استقبال للقوافل التجارية القادمة من عمق دول ساحل الصحراء أو المغادرة إليها، وهي في حد ذاتها وليدة ذاك التزاوج التجاري (على الأقل) بين المنطقتين، وهو ما يعطي بعدا تاريخيا لظاهرة الهجرة في مدلولها العام (الانتقال من مكان إلى آخر)، حيث يصبح فعل الهجرة في حد ذاته مفعولا به من الجانب التاريخي، فالمهاجر من دول ساحل الصحراء هو حفيد ذاك التاجر الذي كان يقصد مدينة ورقلة كمحطة من محطات مسار القوافل التجارية. وهنا يذكر لنا (**إسماعيل 42سنة مالي**) أن الهجرة للجزائر هي حركة كانت بالأمس القريب أمر طبيعي وعادي ومألوف بالنسبة لسكان الدولتين (الجزائر ومالي) حيث قال (**جدي من أمي كان يأتي لصحراء الجزائر كثيرا، وقد كان يحكي لنا عن غارداية وورقلة وأدرار، ولم يذكر مرة أن سفره كان ممنوعا أو به مشاكل مع سكان الصحراء الجزائرية**)[2]، وفي ذات السياق يضيف (**محمد 29 سنة من مالي**) قائلا (...**حتى أصحاب سيارات النقل التي تنقلنا عبر الحدود بين مالي والجزائر هم في الغالب توارثوا هذا العمل من آبائهم وأجدادهم**...).[3]

---

[1] عبد القادر زبادية: ***الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء***، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 28.

[2] مقابلة مع (اسماعيل 42 سنة من مالي) بتاريخ: 5 ديسمبر 2019، بمنطقة الزاينة.

[3] مقابلة مع (محمد 29 سنة من مالي) بتاريخ: 5 ديسمبر 2019، بمنطقة الرويسات.

...من نقل البضائع إلى نقل المهاجرين (البشر)، يتضح التغير الكرونولوجي للفعل وتصنيفه، فبالأمس كان الفعل يتمثل في جزئية من جزئيات التبادل التجاري، أما اليوم فهو صنف من أصناف التهريب، ومن كلام (محمد) يظهر لنا أن تحكم المهربين بمسارات التنقل بين دول ساحل الصحراء والصحراء الجزائرية هو في الأساس سلطة رمزية لها بعد تاريخي متوارث عبر أجيال مختلفة (**جد تاجر– حفيد مهرب**).

مما سبق يمكننا القول أنه يوجد ارتباط تاريخي بين ساحل الصحراء والصحراء الجزائرية بصفة عامة من جهة وتشكل ظاهرة الهجرة من جهة أخرى، يمكن وصف هذا الارتباط بـ "**الحق التاريخي للهجرة**"، حيث أن فعل الهجرة هو في الأساس انتقال له بعد تاريخي متواصل عن طريق توارث للفعل الاجتماعي المتمثل في الانتقال ضمن الحيز الجغرافي للصحراء الكبرى، سواءا كان هذا الانتقال لغاية التجارة أو البحث عن العمل أو الارتحال والبحث عن مواطن للاستيطان وتحسين ظروف المعيشة.

فعل الهجرة وبعده التاريخي بين دول ساحل الصحراء وصحراء الجزائر هو اليوم في مواجهة تغير الحدود الجغرافية للمنطقة، فالحدود الجيو–سياسية وتشكل ما يعرف بدول ما بعد الكولونيالية صارت عائقا أمام **عفوية** تنقل الأفراد والجماعات في ذاك الحيز الجغرافي، فما كان بالأمس مسموحا صار اليوم ممنوعا من الناحية القانونية والسياسية لدول المنطقة، وهذا ما أتبع فعل الهجرة بتوصيفات قانونية وسياسية من قبيل (هجرة غير شرعية، هجرة غير نظامية، حرقة..).

تلك المراسيم القانونية والسياسية التي تحمي حدود دول المنطقة في ساحل الصحراء، وتقيد الحركة والتنقل للسكان على اختلاف جنسياتهم، هي اليوم **حصن سياسي** ضد فعل الهجرة كميكانيزم للحراك الاجتماعي التاريخي لساكنة ساحل الصحراء، فأصبحت الدولة هي المحدد لآليات التنقل وآليات التعامل في المنطقة، وأي فعل خارج مراسيم الدولة هو فعل إجرامي يحارب بسلطة القانون، حيث.. "اعتمدت

الجزائر القانون رقم 08-11 الذي يحكم شروط الدخول والإقامة والتنقل بالنسبة للمواطنين الأجانب. ويعامل هذا القانون الهجرة غير النظامية معاملة الجرم الجنائي الذي يعاقب عليه بالسجن لمدة تصل إلى سنتين، وينص على إجراءات قانونية لطرد المهاجرين من الجزائر. ويعاقب القانون على عدم الامتثال لأمر الطرد بالسجن لمدة تصل إلى خمس سنوات. كما استحدث القانون رقم 09-01 الصادر في 25 فيفري/شباط 2009 لتعديل قانون العقوبات جريمة جنائية جديدة هي الخروج غير القانوني، سواء من قبل المواطنين الجزائريين أو المواطنين الأجانب. وهي الجريمة التي يعاقب عليها بالسجن لمدة تصل إلى ستة أشهر، وينص القانون رقم رقم 81-10 لعام 1981 الخاص بشروط تشغيل العمال الأجانب على أن استخراج تصاريح العمل لا يتم إلا للوظائف التي يتعذر على المواطنين الجزائريين شغلها. كذلك فإن المواطنين الأجانب مطالبون بالحصول على تصريح عمل قبل دخول الجزائر حتى يتمكنوا من التقدم بطلب استخراج بطاقة إقامة. هذه القوانين مجتمعة تعني أن مواطني الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء الذين يهاجرون إلى الجزائر بحثا عن العمل لا يتم تسجيلهم في أغلب الأحوال".[1]

في ديسمبر/كانون الأول 2014، عقدت الجزائر اتفاقية مع النيجر بهدف إعادة مواطني النيجر غير المسجلين من الجزائر... وعلى إثر عقد إتفاقية الإرجاع الثنائية، نفذت السلطات الجزائرية عمليات توقيف وطرد جماعي إلى النيجر شملت الآلاف من مهاجري النيجر غير المسجلين، واستهدفت في البداية النساء والأطفال ومع مرور الوقت استهدفت أيضا العمال الذكور المهاجرين من النيجر. وفي عام 2016 وسعت السلطات الجزائرية من نطاق هذه التحركات لتشمل المهاجرين وطالبي اللجوء واللاجئين من دول أخرى

[1] مجبرون على الرحيل: ***قصص الظلم ضد المهاجرين في الجزائر***، منظمة العفو الدولية، رقم الوثيقة: MID 28/9512/2018، سنة 2018، ص 03.

بغرب أفريقيا فضلا عن النيجر[1]، وقد لامسنا هذه الإجراءات المتخذة من طرف السلطات الجزائرية امبريقيا من خلال ما لاحظناه في بداية الدراسة الميدانية، حيث أن أغلب المهاجرين الذين قابلناهم كانوا يزعمون أنهم من دولة مالي أو السنغال، وهذا ما كان سببا في تفشي التسمية الشعبية المحلية (سكان ورقلة) للمهاجرين بـ **الماليين**، على الرغم من أن الدلائل الميدانية توضح أن نسبة المهاجرين من دولة النيجر تفوق نسبة المهاجرين من دولة مالي بأضعاف، وفي بحثنا عن سبب عدم التصريح بالبلد الأصل من مهاجري دولة النيجر، أجابنا (**إبراهيم 33سنة من النيجر**)، (**نخاف من أن تمسكنا السلطات الأمنية الجزائرية وتلزمنا بالرجوع للنيجر**).[2]

إبراهيم ذلك المهاجر من النيجر، وبالرغم من علمه بالاتفاقية الثنائية بين النيجر والجزائر بخصوص إرجاع المهاجرين واللاجئين، إلا أنه والكثير من أمثاله هاجروا من بلدهم قاصدين الجزائر، وهذا ما جعلنا ننظر لفعل الهجرة على أساس أنه **حق** له بعد تاريخي يحاول تخطي الحصن السياسي المانع للهجرة واللجوء خارج إطار ما تنص عليه القوانين الدولية لدول منطقة الساحل والصحراء الكبرى.

في ذات السياق وبالنسبة لعبور المهاجرين للحدود بين مالي والجزائر أو بين النيجر والجزائر، فإن هذا العبور ليس بالعمل السهل أو المجاني، فعمليات تهريب المهاجرين لداخل الحدود الجزائرية مكلفة جدا، حيث يخبرنا أحد المهاجرين من دولة النيجر (**عيسى 35 سنة من النيجر**) (**ثمن التنقل من حدود النيجر إلى منطقة عين قزام هو 2000 دينار جزائري، ومن عين قزام إلى مدينة تمنراست 1200 دينار جزائري، أما من تمنراست إلى غاية هنا –ورقلة– فقد يتجاوز ثمن التنقل 20000 دينار جزائري**)،

[1] المرجع السابق، ص 04.

[2] مقابلة مع (ابراهيم 33 سنة من النيجر) بتاريخ: 28 أكتوبر 2019.

وفي سؤالنا عن كيفية الحصول على النقود الجزائرية؟ أجابنا (**عيسى**) (**نستبدل عملتنا وتسمى "السيفا" بالدينار الجزائري في منطقة عين قزام، وفي بعض الأحيان قبل دخولنا للحدود الجزائرية**).

بعيدا عن التكاليف المالية للهجرة إلى الجزائر وبالتحديد مجال دراستنا منطقة (ورقلة)، فإن فعل الهجرة لطالما ارتبط بظروف قاسية وصعبة، سواءا في مسارات الهجرة أو في المكان المهاجر إليه (المجال / المجتمع المستقبل)، فمسارات الهجرة تعرف منذ القدم مخاطر كثيرة مثل المرض أثناء التنقل أو التعرض لقطاع الطرق، أو الاستغلال والأسر وقد تصل حتى درجة القتل في بعض الأحيان، وفي حديث لنا مع أحد سكان مدينة ورقلة (**عبد الرؤف.ل 37 سنة تاجر متنقل**) أخبرنا (**أعمل تاجر متنقل بين مدينة ورقلة وكل من تمنراست إيليزي وجانت، وفي أثناء تنقلي بين هذه المناطق أصادف الكثير من المهاجرين في الطريق، في بعض الأحيان أجدهم بلا مؤونة وبلا ماء صالح للشرب، صراحة أوضاع كارثية، وأذكر أنني صادفت امرأة من النيجر وهي تضع مولودا لها في الطريق، واستغربت حول تلك الشجاعة لامرأة حامل تشق الصحراء مشيا على الأقدام**).

وكثيرا ما ترتبط مخاطر المسارات بحسب ارتباطها بالجغرافيا ودرجة توفر الأمن، وفي دراستنا هذه فإن مهاجري دول ساحل الصحراء في مسارات عبورهم نحو الشمال الإفريقي هم ملزمون بدخول مغامرة التنقل عبر الصحراء وصعوبة المناخ والبيئة الصحراوية، التي تعرف درجات حرارة كبيرة وتضاريس رملية وصخرية وعرة، ومسافات تقدر بمئات الكيلومترات وقد تصل الآلاف، وهذا المجال الجغرافي رغم قساوة طبيعته البيئية والجغرافية هو أيضا مجال غير آمن، حيث يعتبر مجالا للنزاعات المسلحة والحروب الأهلية، ومجالا للتجارة بالبشر والتهريب والأعمال الإرهابية.

3_ الصورة النمطية والمخيال الثقافي للهجرة:

لقد تطرقنا في العنصر السابق من الدراسة إلى فعل الهجرة وارتباطه بأبعاد تاريخية وسياسية بين دول ساحل الصحراء والصحراء الجزائرية، وكيف تشكل في انتمائه لبعده التاريخي وكيف صار فعلا مقاوما للإجراءات والقرارات السياسية والقانونية لدول المنطقة (مجال الهجرة)، وفي هذا العنصر سنحاول التطرق إلى صورة الهجرة والمخيال الثقافي المرتبط بها لدى المهاجرين.

كما ذكرنا فإن هجرة ساكنة دول ساحل الصحراء إلى الصحراء الجزائرية هي من الممارسات المرتبطة بالهوية التاريخية والجغرافية وعلاقات التبادل التجاري والاجتماعي، وهو ما جعل الهجرة كظاهرة وممارسة تصبح **صورة نمطية** لفعل الانتقال والحركة في المجال الجغرافي لمنطقة الصحراء الكبرى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ديناميكية مجتمع مهاجري دول ساحل الصحراء بمختلف أشكاله وتفاصيل معيشه اليومي في مدينة ورقلة، تعتبر من الناحية الأنثروبولوجية **براكسيس**[1] جماعي يعبر عن انتفاضة ضد تاريخانية الواقع المعيش في البلد الأصل، حيث يمثل هذا البراكسيس مجموعة المراحل الآتية:

1_ فعل الهجرة: وهو المرحلة الأولى التي تمتد من الفكرة إلى التطبيق (من التفكير في الهجرة إلى الخروج من البلد الأصل).

2_ مسار الهجرة: وهو مجموعة المسالك والطرقات ونقاط العبور التي مر بها المهاجر منذ خروجه من البلد الأصل وصولا إلى البلد أو المجتمع المستقبل ومنطقة الاستقرار.

[1] **البراكسيس:** هو ممارسة تهدف إلى تغيير واقع اجتماعي يحمل تناقضاته في ذاته، والتي لا سبيل إلى تجاوزها إلا من خلال براكسيس جماعي وثوري.حيث يستلهم هذا البراكسيس فعاليته وحركيته أساسا من الطبقة التي تكمن مصلحتها في ذلك التغيير (أنظر)
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=523518

3 _ الاستقرار: هو الفترة التي تنطلق من لحظة اتخاذ المهاجر لقرار استقراره ومكوثه في منطقة ما، ويمتد إلى غاية الخروج من تلك المنطقة سواءا للعودة للبلد الأصل أو للعبور لمنطقة أخرى بنية الاستقرار فيها.

4_ صراع الحياة اليومية: وهو تفاصيل المعيش اليومي للمهاجر خلال فترة الاستقرار، حيث تكون على شكل صراع للوصول لأهداف الهجرة.

الهجرة وصورتها النمطية من حيث هي ممارسة جماعية تعتبر براكسيس، هي ذات ارتباط جماعي، وإن كان الإنسان هاجر بمفرده فله ارتباطات ثقافية واجتماعية مع الجماعة المهاجرة أو مع أهله في بلده الأصل، فآليات السكن والمأوى وآليات الانتظام الجماعي في العمل والأسواق هي مؤشرات لذلك الارتباط الجماعي، سواءا كان الارتباط يعبر عن قرابة دموية أو قبلية، أو قد يتجاوز ذلك للقرابة الوطنية (من نفس البلد). ففي مقابلة[1] جمعتنا بمهاجرين من مالي (علي 30سنة، أمين 29سنة، نوح 27سنة، محمد 27سنة)، أخبرنا (**علي**) (**أن كراء الغرفة يتم من خلال الاشتراك الجماعي في دفع ثمنه، بالإضافة إلى أن كل متطلبات الأكل والاحتفالات بالمناسبات الدينية ووو تتم بنفس الصورة**)، وهذا ما يؤكد حديثنا حول وجود ذلك الرابط الجماعي الذي أوجدته الهجرة بين المهاجرين.

هذا، حول الهجرة كظاهرة لها صورة نمطية خارجية، **ماذا عن الهجرة من خلال منظور فاعليها؟ ماهي الهجرة في المخيال الثقافي للمهاجرين؟**

من الواجب الأنثروبولوجي الإنساني في التعامل مع ظاهرة الهجرة ألا نستبق الأحكام، حيث تفرض علينا الموضوعية العلمية في البحوث الأكاديمية التعمق في الدراسة وتوضيح كل ما يرتبط بالتركيب البنيوي

[1] مقابلة مع مجموعة شباب مهاجرين من مالي، منطقة الزاوية 02 بالرويسات، بتاريخ 7 ديسمبر 2019.

للظاهرة، ومن خلال الغوص في الميدان وتفاصيله كمجال للبحث الأنثروبولوجي نرى "أنه من الغريب أن نتعامل مع المهاجرين كما لو أنهم أفراد لاعبون في السوق، وأن لديهم معلومات كاملة عن الخيارات المتاحة لهم، وحرية الاختيار العقلاني. ففي الواقع، إن المعلومات المتاحة لهم محدودة، بالفعل، ومتناقضة في كثير من الأحيان، كما أنهم يخضعون لمجموعة من القيود (خاصة الشعور بالضعف أمام أرباب العمل والحكومات). ينال المهاجرون تعويضا عن ذلك بتطوير رأس مالهم الثقافي والاجتماعي. علاوة على ذلك، فإن المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجي وعلماء الاجتماع وعلماء الجغرافيا قد بينوا أن سلوك المهاجرين يتأثر بشدة بالتجارب والأحداث التاريخية وكذلك بديناميكيات الأسرة والمجتمع".[1]

هذا التأثر بالواقع والأحداث الاجتماعية هو مؤشر وباب للدخول في واقعية الهجرة كفعل، فالأطفال ما دون سن الثامنة عشرة (18) من مهاجري دول ساحل الصحراء الوافدين لمدينة ورقلة هم متأثرون بمجموعة دوافع دفعتهم للهجرة من بلدهم الأصل، ففي مقابلة جمعتنا مع مهاجرين من دولة النيجر (احمد 16سنة) و (موسى 17سنة) وجدنا أنهما هاجرا للجزائر من باب المغامرة من جهة، ومن باب التقليد من جهة أخرى، حيث علمنا أن الكثير من شبان بلدتهما هاجروا للجزائر، وكلما يعودون الى البلد الأصل يحدثونهم عن تجربة هجرتهم، وهذا ما نسج فكرة الهجرة لديهما (احمد وموسى)، وفي إشارة منا على أنهما صغيران على خوض هكذا تجربة، أجابنا (أحمد) (**كانوا يقولولنا راكم صغار وما تقدروش تمشو لدزاير، بصح قدرنا وجينا وراح نمشو للبحر**). كلام أحمد يحمل الكثير من الدلالات التي كانت مبهمة، حيث يظهر لنا أن الهجرة بالنسبة لأحمد ورفيقه هي مغامرة لإثبات القدرة واثبات الرجولة وما يصاحبها من

[1] ستيفن كاستلز، ومارك ميلر: ***عصر الهجرة***، ط 4، تر: منى الدروبي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 80.

صفات القوة والنضج، وبمنظور أنثروبولوجي فإن الهجرة هاهنا تعتبر **طقس عبور** من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة، ومن مرحلة الطفولة والمراهقة إلى مرحلة الشباب والنضج.

خلاصة:

فعل الهجرة هو انتقال له بعد تاريخي متواصل عن طريق توارث للفعل الاجتماعي المتمثل في الانتقال ضمن الحيز الجغرافي للصحراء الكبرى، سواءا كان هذا الانتقال لغاية التجارة أو البحث عن العمل أو الارتحال والبحث عن مواطن للاستيطان وتحسين ظروف المعيشة، أما ما أتبع فعل الهجرة بتوصيفات قانونية وسياسية من قبيل (هجرة غير شرعية، هجرة غير نظامية، حرقة..) فهو تلك القوانين والمراسيم التي تضبط حركة التنقل بين الدول.

إن هجرة مواطني دول ساحل الصحراء هي براكسيس يعبر عن انتفاضة ضد تاريخانية الواقع المعيش في البلد الأصل يهدف إلى تغيير واقع اجتماعي من خلال التنقل إلى دول أخرى قد تفتح الآفاق لتحسين الظروف المعيشية، إضافة إلى ذلك فقد ظهر عنصر آخر ساهم في فعل الهجرة بعيد عن عوامل الطرد والجذب، ألا وهو كون الهجرة في حد ذاتها **طقس عبور** من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة ومرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والنضج.

الفصـــــل الرابع

الفصل الرابع

يوميات مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة

تمهـيد

1_ الواقع الاجتماعي للمهاجرين.

1_1_ السكن والمأوى وآليات الانتظام

1_2_ المهاجرين وصور الاحتكاك داخل الفضاءات العامة

2_ الواقع الثقافي للمهاجرين بين التثاقف والانكفاء

2_1_ الدين- تأشيرة دخول رمزية

2_2_ اللغة في خطاب الهجرة

2_3_ اللباس والهجرة

2_4_ العادات والتقاليد

2_5_ إشكالية الهوية والتعدد الثقافي

تمهيد:

نذهب في هذا الفصل من الدراسة إلى التطرق إلى يوميات المهاجرين من دول ساحل الصحراء داخل مدينة ورقلة، من خلال تسليط الضوء على الواقعين الاجتماعي والثقافي لهذه الفئة، وما يحتويه هذان الواقعان من تفاصيل بنيوية وفينومينولوجية، حيث تطرقنا في الواقع الاجتماعي إلى سكن المهاجرين وآليات انتظامهم داخل مجموعات، ومنه إلى آليات وصور التفاعل مع المجتمع المستقبل، في حين عالجنا في واقعهم الثقافي مجموعة من العناصر الثقافية تمثلت في الدين ورمزيته ودوره في الممارسات اليومية، واللغة كأهم العناصر الثقافية البارزة في التعاملات اليومية بين المهاجرين والفاعلين في المجتمع المستقبل، ثم عرجنا على نمط لباس المهاجرين وعاداتهم وتقاليدهم وصور التغير الناتج عن التماس الثقافي.

1_ الواقع الاجتماعي للمهاجرين:

1_1_ السكن والمأوى وآليات الانتظام:

يتوزع مهاجري دول ساحل الصحراء في عدة مناطق وأحياء سكنية بمدينة ورقلة والبلديات المحيطة بها، وحسب ما خرجنا به من ملاحظات ونتائج في دراستنا هذه، أن هذا التوزع يرجع في الأول إلى عامل الانتماء إلى الجماعة (**تجمع المهاجرين بشكل جمهور مما يؤدي إلى زوال الأنا وتشكل النحن....**)، بمعنى أن المهاجرين من دولة النيجر يقطنون في الغالب في نفس المنطقة أو الحي، وكذلك بالنسبة للمهاجرين من دولة مالي (جل أفراد العينة محل الدراسة من دولتي النيجر ومالي)، كما أن المهاجرين يختارون الأحياء التي تتوفر على أماكن سهلة للإقامة والسكن، سواءا من حيث ثمن الكراء أو سكنات نصف منجزة يتم الاستيلاء عليها لتمضية فترة الليل فقط، دون البحث عن توفر الشروط الملائمة للسكن، وهذا ما جاء في قول (إبراهيم 33 سنة من نيجر) (**المهم نلقى بلاصة وين نرقد، حتى بارك ولا قاراج فارغ**).

مناطق السكن التي يقصدها المهاجرون هي في الحقيقة أحياء يمكن أن نقول عنها أنها هامشية أو بعيدة عن الواجهة العامة، حيث تعطي نوعا من العزلة والعيش في مناطق الظل بعيدا عن أعين رجال الأمن، وفي الغالب تحوي هذه المناطق مستودعات يتم حراستها من قبل هؤلاء المهاجرين مقابل استغلالها للمبيت والإقامة.

وهذا ما ذهب إليه الباحث والبروفيسور "عبد القادر خليفة" في مقاله المعنون بـ "مهاجروا دول الساحل في مدن الصحراء الجزائرية" في حديثه عن السكن وظروف الإيواء، حيث قال (..حسب ما أمكن ملاحظته حول ظروف سكن المهاجرين، فهم يتخذون من الأحياء الهامشية للمدينة مأوى لهم، إذ يقومون بتأجير مساكن بسيطة لا تتوفر في كثير من الأحيان على الحد الأدنى من الخدمات، أغلبها لا تتوفر على

الكهرباء والماء، هذه الأماكن قليلة الكلفة إذ يبلغ ثمن الكراء 5000 دج تقسم التكلفة بين عدة متساكنين من 05 إلى 10 أفراد، يتخذ كل واحد منهم زاوية في غرفة، في الغالب دون خدمات وفي ظروف غير صحية، في مساكن هشة هجرها أصحابها فغي حي "سكرة" أو "الزياينة" أو حي "بوزيد". الملاحظ أنهم يفضلون هذه الأحياء الهامشية التي يتفادون فيها أي رقابة أو حجز من السلطات بسبب وضعهم غير القانوني. أحياء بكاملها أصبحت توفر هذا المستوى من السكن لهؤلاء، حتى أن بعض المناطق أصبحت تسمى بأسماء بلدانهم: "حي الماليين" مثلا، إذ يتعايش المهاجرون مع المجتمع المحلي في هذه الأحياء بسبب التعود على وجودهم بشكل لا يلفت الانتباه، فهم يشترون مستلزماتهم اليومية ويستقلون وسائل النقل العمومية ما أمكنهم ذلك، كما يتنقلون في شكل مجموعات صغيرة العدد ويتحاشون في الغالب التعامل مع السكان).[1]

صورة رقم:01
توضح مكان سكن مهاجري دول ساحل الصحراء
من تصوير الباحث

[1] عبد القادر خليفة: ***مهاجرو جول الساحل في مدن الصحراء الجزائرية: من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة – الجزائر)***، مجلة انسانيات، عدد مزدوج 69-70، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية كراسك، وهران، جويلية-ديسمبر، 2015، ص 51.

السكن بالنسبة لمهاجري دول ساحل الصحراء هو مكان للنوم فقط، ذلك أن فترة التواجد فيه هي الفترة الليلية فقط، ومع طلوع شمس كل يوم تجدهم يغادرون أماكن السكن ويتوزعون في المدينة، حيث تذهب كل مجموعة منهم إلى وجهتها، فمن كان عاملا يذهب إلى عمله (خاصة ورشات البناء)، ومن يمارسون التسول تجدهم يقصدون الأماكن المعتادة للتسول مثل المساجد أو محطات المسافرين والشوارع والأسواق. أما المهاجرين الذين يقطنون في أماكن العمل مثل المزارع والمستودعات وورشات الصناعات اليدوية (نجارة، لحامة، ...)، فإن يومياتهم تكون في حلقة مغلقة بين العمل والعيش والنوم في نفس المكان، حيث يخبرنا (**إبراهيم 33سنة مالي**)(**أتقن النجارة جيدا، لهذا فأنا المسؤول عن الورشة وكل ما يخص أشغالها، وهي مكان العمل ومكان العيش بالنسبة لي، فقلما أغادرها لجلب ما أحتاجه من مواد غذائية أو مستلزمات العمل**).

1_2_ المهاجرين وصور الاحتكاك داخل الفضاءات العامة:

تعتبر الفضاءات العامة مجالا هاما لعملية التفاعل الاجتماعي والاحتكاك بين الفاعلين الاجتماعيين لأي مجتمع، وهي الأماكن التي تتم فيها عملية التواصل بواسطة الرموز والإشارات والإيماءات ومختلف أنواع لغات التواصل، وهذه العملية (التواصل) تنتقل من خلالها الرسائل أيا كانت طبيعتها ومحتواها ونوعها. ومنه "يمكن اعتبار الفضاء العمومي على أنه الحيز أو المكان المفتوح للجميع بحيث يتبادلون المواقف والآراء والانشغالات قصد تحقيق أهداف معينة".[1]

[1] جرادي سكينة، نورية سوالمية: ***دور الفضاء العمومي في تشكيل التواصل الاجتماعي***، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 10، العدد02، 2021، ص155.

تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن مفهوم التواصل سبق إليه المفكر هابرماس في نظرية الفعل التواصلي، وقد استند في هذه النظرية إلى اللغة التي تعطي مكانة أساسية لجانب الاتصال بالنسبة لأفراد المجتمع،[1] فاستخدم مفهوم التواصل من أجل تحقيق الاندماج الاجتماعي، وفي هذا الصدد يقول هابرماس" التواصل هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن إعادة ربط الصلة بين أفراد المجتمع المشاركين في العملية التواصلية.[2]

إن الفضاءات العامة في مدينة ورقلة هي مسرح للتفاعلات اليومية لمختلف شرائح المجتمع الورقلي، بما في ذلك مجتمع مهاجري دول ساحل الصحراء، حيث تعتبر تلك الفضاءات جزءا من واقع حياتهم اليومية، فهي مجالات للعب الأطفال وراحة النساء وتلاقي الرجال، وهي أيضا مجالات لكسب لقمة العيش سواءا من خلال التسول (كمصدر رئيس في عنصر معيش المهاجرين) أو من خلال تجارة الأرصفة التي يمارسها بعض المهاجرون، مثل بيع النظارات الشمسية وساعات اليد وأعواد السواك والعطور.

في ما يلي سنوضح أهم الفضاءات العامة والأماكن التي تشهد عملية احتكاك وتفاعل مهاجري دول ساحل الصحراء في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة من خلال ما تم جمعه من معطيات وملاحظات اثنوغرافية:

1_2_1_ الفضاء المسجدي:

تعتبر المساجد أحد أهم الأماكن التي تشهد تواجد مهاجري دول ساحل الصحراء، فهم يؤدون طقوس الصلاة الجماعية بالمساجد، خاصة صلاتي الظهر والعصر، حيث يقوم المهاجرون بتأدية الصلاة وقراءة

---

[1] كمال بومنير: ***النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى أكسل هونيث***، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2010، ص118.

[2] يورغان هابرماس: ***العلم والتقنية كإيديولوجيا***، تر: حسن صقر، ط1، منشورات الجيل، كولونيا، ألمانيا، 2003، ص63.

القرآن داخل المساجد، وكذلك تعتبر أماكن لتسول البعض منهم (أنظر أماكن التسول في الفصل الخامس)، وبما أن أغلبية المهاجرين إن لم نقل جلهم هم من المسلمين، ولأن المساجد تعتبر فضاء له قدسية خاصة ومكان يتساوى فيه كل الناس، فهو يعطي ذلك الشعور بالانتماء للمهاجرين، فتجدهم يقصدون المساجد كلما سنحت لهم الفرصة لذلك.

الفضاء المسجدي لا ينحصر دوره في العبادة أو المسائل الاجتماعية، بل هو فضاء يشهد عمليات تواصل بين الفاعلين ضمنه (المصلين)، وهذا من خلال تبادل أطراف الحديث أو التعاون على جمع التبرعات أو الاهتمام بشؤون المسجد في حد ذاته، وكما ذكرنا حول ذلك الأمان الذي يشعر به المهاجرون داخل المسجد، فإن العملية التواصلية بين المهاجرين وباقي الفاعلين ضمن الفضاء المسجدي تعتبر الأقوى أو الأكبر بالنسبة لغيرها من عمليات التواصل والاحتكاك، وهذا راجع إلى ذلك الشعور بالأمان داخل المسجد وما يحمله من قدسية وقيمة رمزية.

جل المخبرين الذين ساعدونا في التواصل مع مهاجري دول ساحل الصحراء هم من رواد المساجد، إذ كان لتلك العمليات التواصلية ضمن الفضاء المسجدي دورا هاما في خلق ثقة بين المصلين من المجتمع الورقلي (مجتمع الاستقبال) والمصلين من المهاجرين، حيث يخبرنا (**عمي محمد 57سنة**)[1] (**الماليين**[2] **يجو يصلو معانا ويقعدوا في المسجد يرتاحوا، واللي يعرف يقرا تلقاه هاز مصحف ويقرا، والحق ما شفنا منهم حتى حاجة موش مليحة، بالعكس يعاونوا فينا في تنظيف الجامع، وحتى كي نحتاجوهم في خدمة يخدموها ببلاش، بصح ديما يعاونوا فيهم المصلين باللبسة والماكلة وحتى الدراهم**).

[1] مقابلة مع مخبر (عمي محمد 57 سنة) بتاريخ : 29 ماي 2021.

[2] **الماليين** مصطلح محلي يشار به لكل المهاجرين الأفارقة.

إن شعور مهاجري دول ساحل الصحراء بالأمان واندماجهم ضمن التفاعل العام في المساجد، إضافة إلى ما يجدونه من مساعدات مادية ومعنوية من طرف الفاعلين في الفضاء المسجدي ومجاله الخارجي، كلها نقاط تشير إلى الدور الذي يلعبه الدين كبعد هوياتي جامع لكل المنتمين له، وهذا ما صرح به أحد المهاجرين من مالي حيث قال (**كلها بلاد الله وكلنا مسلمون**).

1_2_2_الأسواق:

من بين الفضاءات التي تمثل مسرحا للتفاعلات اليومية للمهاجرين نجد الأسواق، ونشير هنا إلى أن الأسواق هي كل الفضاءات التي تحوي المحلات التجارية والمطاعم وطاولات تجارة الأرصفة، ومن هذه الناحية فإن مدينة ورقلة بها الكثير من الأماكن الخاصة بالتسوق وممارسة النشاطات التجارية، والتي من بينها: منطقة الكاتشوما، سوق بلعباس، سوق الحجر، حي الشرفة، سوق السبت، السوق القديم لقصر ورقلة، السوق الأسبوعي، وهذه الأماكن هي ملجأ وفضاء للتفاعلات اليومية لمهاجري دول ساحل الصحراء، حيث تعتبر أماكن لكسب الرزق من خلال العمل أو من خلال ممارسة التسول.

هنا يمكننا تقسيم الأسواق كفضاء للتفاعلات اليومية لمهاجري دول ساحل الصحراء حسب الغاية من التفاعل أو التواجد في حد ذاته، وحسب ما أفضت إليه الخرجات الميدانية والملاحظات الإثنوغرافية وما توصلنا إليه من خلال التحليل الأنثروبولوجي فإن هناك غايتين للتفاعل في فضاء السوق:

1_2_2_1_ التفاعل التجاري بيع/شراء:

في هذا النمط من التفاعل نشير إلى تعامل مهاجري دول ساحل الصحراء كفاعلين في السوق من جانبين، أولهما كون المهاجر بائع في السوق، وهذا الجانب يمثله تلك الفئة من المهاجرين الذين يمارسون ما يعرف بـ"تجارة الأرصفة" (أنظر الفصل الخامس)، وهنا تجد المهاجرين في تواصل مستمر مع رواد الأسواق

من الذين يبحثون عن سلع وحاجات توفرها طاولاتهم، ويغلب على هذا النمط من التفاعل والتواصل الجانب التجاري الذي ينحصر في نوع السلعة وثمنها، وغالبية هؤلاء التجار من المهاجرين يتقنون لغة المجتمع المستقبل (العربية)، فهي الوسيلة الأولى والمدخل الرئيس في عملية التواصل.

أما الجانب الثاني فهو المهاجر المشتري، وهي فئة المهاجرين التي تقصد الأسواق من أجل التسوق وشراء حاجياتهم الخاصة من ألبسة وأطعمة وأجهزة، وهذا ما شهدناه ميدانيا في السوق الأسبوعي وسوق الحجر، حيث يقصد مهاجري دول ساحل الصحراء الأسواق التي تعرف تواجد لطاولات تجارية أصحابها من المهاجرين أيضا، وفي سؤال لأحد المهاجرين من مالي أخبرنا، (**نجو هنا نشرو من عند صحابنا، باه نقدرو نتفاهمو معاهم، ويبيعولنا بسومة مليحة، ونشرو الأشياء الأخرى من عند تجار اخرين**)، وهنا نعرج إلى أن عملية التسوق ليست بحث عن سلع فقط، بل تتجاوزه للبحث عن الهوية الاجتماعية والثقافية التي يفتقدها المهاجرون في بلاد المهجر.

صورة رقم02: تفاعل تجاري بين مهاجرين

توضح مكان سكن مهاجري دول ساحل الصحراء

1_2_2_2_ التفاعل من أجل التسول: في هذا النمط من التفاعل تكمن الغاية الأساسية لتفاعل مهاجري دول ساحل الصحراء في كسب المال أو كل ما قد يجود به المتصدقون، فالأسواق تمثل مجالا لتوافد أعداد كبيرة من طالبي الحاجة على اختلافها (أطعمة، ألبسة، مستلزمات..)، وأغلب الوافدين للأسواق هم في الأساس حاملين لأموال، هذه النقطة أدركها المتسولون من مهاجري دول ساحل الصحراء خاصة فئة النساء منهم، وهذا ما تظهره أقوالهم أثناء التسول والإلحاح في الطلب من قبيل (**أعطيني الصوارد/ لالا عندك/ هات برك**).

تمثل الأسواق فضاء حر للتفاعل والتواصل بين مختلف الشرائح الوافدة إليه، وفيها يجد المتسولون من مهاجري دول ساحل الصحراء غايتهم، من خلال التفاعل مع أصحاب المحلات والمطاعم وزوارها، بالإضافة إلى أنها تعتبر فضاءا للعب أطفال المهاجرين وتوزعهم وبحثهم عن الأطعمة والألبسة وجمع النقود، ومن الصور التواصلية بين المهاجرين من دول ساحل الصحراء والوافدين على الأسواق نجد تلك الروابط المنشئة بين أطفال المهاجرين وعمال المطاعم وأصحاب المحلات، خاصة الذين يقدمون مساعدات لهذه الفئة من أطعمة أو نقود أو حتى ألعاب، فتجدهم يعرفون أسماء بعضهم البعض وبعض التفاصيل العامة عن حياتهم، وهنا يخبرنا (**محمود 27 سنة عامل بمطعم بمنطقة الكاتشوما**) (**يجونا بزاف من الماليين يطلبو الطعام، وكاين أوخرين نعرفوهم عندهم مدة يجونا، من ذاك يشرو بصواردهم (نقودهم) ومن ذاك احنا نمدولهم، وأغلبهم نساء بأولادهم، وكيما اللي شفتها تحكي معايا "مريم" عندها 4 شهر تجي عندنا هي وخوها الصغير وأختها سميرة، وأنا الحق نديرلهم كاسكروطات ونعطيهم يوكلو، وهوما يلمو الصرف ويجيبوه نجملو ليهم..**).

على اختلاف النمط أو الغاية من التفاعل والتواصل داخل الأسواق بين المهاجرين والمجتمع الورقلي بمختلف تركيباته الاجتماعية، فإن الأسواق تبقى من الفضاءات الهامة في عملية التفاعل اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء داخل الفضاءات العامة، حيث تعتبر الأسواق مجالا للمعيش في صورة العمل أو التسول ومسرحا لتلعب فيه الذات دورا مع الآخر ضمن الصراع اليومي.

1_2_3_أحياء وشوارع المدينة:

هي من الفضاءات العامة التي تعرف صورا لاحتكاك مهاجري دول ساحل الصحراء والمجتمع المستقبل (المجتمع الورقلي)، إلا أن هذا التفاعل والتواصل والاحتكاك يقتصر على مجموعة تعاملات من قبيل الشراء من المحلات التجارية، أو ممارسة التسول أو الجلوس للراحة ولعب الأطفال، لأن الأحياء الشعبية في مدينة ورقلة تعرف خصوصيات مجالية وسوسيو-ثقافية خاصة، وهذا راجع إلى التقسيم القبلي الذي بنيت على أساسه هذه الأحياء، فكل قبيلة من قبائل البدو المتمدنين (المخادمة، بني ثور، سعيد عتبة، الرويسات/الشعانبة) لها حيزها المجالي الخاص بها، وحتى الأحياء التي تعرف تركيبة اجتماعية مختلطة مثل سكرة وحي النصر (الخفجي) فتواجد المهاجرين فيها يكون في الأماكن التي تحوي مكان إقامة للمهاجرين أو أماكن لممارسة التسول.

بالرغم من أن تواصل مهاجري دول ساحل الصحراء مع المجتمع المستقبل في فضاء الأحياء الشعبية ليس بنفس درجة التواصل داخل الفضاء المسجدي أو الأسواق، إلا أن هذه الأحياء وشوارع المدينة هي متنفس لفئة الأطفال وفئة النساء من المهاجرين، حيث تعتبر فضاءات للعب الأطفال وتجولهم، ففي أحد شوارع حي النصر (الخفجي) وجدنا مجموعة بنات من دولة النيجر يمارسون لعبة "**الكارابكي**"، وهي لعبة

بسيطة تمارس بالحصى، وعند سؤالنا عن اسم اللعبة وكيفية لعبها، أجابت (**عائشة 12سنة من النيجر**)[1] **(هذه لعبة الكارابكي، وهي تلعب بترتيب جمع الحصى (من 1 إلى 10 حجارة)، وعند سقوط حجرة يتوقف اللاعب عن الجمع ويحصي عدد الحصى الذي في يده)** (أنظر الصورة).

صورة رقم: 03
مهاجرات من النيجر يمارسون لعبة الكارابكي (رفضنا تصوير وجوههن)
من تصوير الباحث

[1] مقابلة مع عائشة 12 سنة من النيجر، بتاريخ 26 سبتمبر 2022، على الساعة 17:05.

2_ الواقع الثقافي للمهاجرين بين التثاقف والانكفاء:

في هذا العنصر نحاول إعطاء صورة حول الأنساق والسمات الثقافية المتعلقة بيوميات مهاجري دول ساحل الصحراء، وآليات الممارسة الثقافية لهذه الأنساق داخل البيئة المجالية الثقافية والاجتماعية لمجتمع الاستقبال (ورقلة)، وذلك من خلال التطرق إلى أبرز النقاط المتعلقة بهذا الجانب من الحياة اليومية للمهاجرين.

2_1_ الدين- تأشيرة دخول رمزية:

الدين من أهم العناصر الثقافية المذكورة في تعريف تايلور للثقافة، وهو من أهم المؤثرات والمؤشرات التي تصقل الهوية الفردية والهوية الجماعية، لهذا فإن الحديث عن الدين عند مهاجري دول ساحل الصحراء هو من أبرز النقاط في الواقع الثقافي المتصل بهم.

صورة رقم: 04
مهاجرات من النيجر بلباس يظهر الهوية الدينية
من تصوير الباحث

حديثنا عن الدين عند مهاجري دول ساحل الصحراء يحاكي تلك الطقوس الفردية والجماعية التي لاحظناها خلال احتكاكنا بمجريات الأحداث اليومية لمجتمع الدراسة، وما يرافق تلك الطقوس من مظاهر (لباس، أدوات...) وسلوكات وممارسات قد تتقاطع في بعض تفاصيلها مع الواقع العام والممارساتي للمجتمع المستقبل، مثل صلاة الجماعة في المساجد، الاحتفال بالمناسبات الدينية مثل الأعياد وصوم رمضان...

صورة رقم: 05
لمهاجرتين من دول النيجر تؤديان صلاة العشاء في ساحة عامة بمنطقة الشرفة (مدينة ورقلة)
من تصوير الباحث

جل المهاجرين الذين يمثلون عينة الدراسة هم من المسلمين، سواءا المهاجرين الوافدين من دولة مالي أو المهاجرين الوافدين من دولة النيجر (مجال الدراسة)، ولم نلتقي خلال فترة الدراسة الميدانية بمهاجر غير مسلم، حتى أن الواقع الأنثروبولوجي يوحي للفاعلين الإجتماعيين بالهوية الدينية لهؤلاء المهاجرين، من خلال نمط اللباس أو التعاملات أو الخطابات وطرق التواصل بين المهاجر والفاعلين في الفضاء العمومي لمدينة ورقلة، ومن أبرز المؤشرات الدالة على الهوية الدينية الإسلامية لهؤلاء المهاجرين، ارتداء القميص والطاقية وحمل المسبحة وفي بعض الأحيان حمل سجادة صغيرة على الكتف، كما نجد عند فئة النساء

المهاجرات ارتداؤهن للباس الإسلامي المحتشم، وحتى البنات الصغيرات يرتدين الحجاب في سن مبكرة جدا. (أنظر الصور)

بعيدا عن مظاهر اللباس التي توحي بالهوية الإسلامية لمهاجري دول ساحل الصحراء، فإن لغة التواصل بينهم وبين الفاعلين الاجتماعيين من المجتمع المستقبل تكون في غالبها مؤشرات توحي بالانتماء الديني لهم، فنجد المتسولين منهم يبادرون في ذكر كلمات من قبيل (**صدقة/صدكة، معروف، حاجة لربي، ربي يعيشك، السلام عليكم**،...)، بالإضافة إلى تلاوة القرآن في الفضاءات العامة وأثناء التسول.

يمارس المهاجرون من دول ساحل الصحراء (النيجر- مالي) طقوسهم الدينية بصفة عادية في المجتمع الورقلي، حيث تجدهم يمارسون الصلاة في المساجد (أنظر أماكن التسول في الفصل الخامس) وفي الساحات العامة فرادى وجماعات، ويحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، وفي هذا الصدد يخبرنا (**علي من مالي 30 سنة**) (**نحتفل بالمناسبات الدينية كما نفعل في مالي تماما، حيث نجتمع وكل شخص يدفع مبلغ مالي بالتساوي لشراء أضحية العيد والمشروبات الغازية والعصائر والمواد الغذائية والخضراوات، هذا قبل العيد بأيام، وفي العيد بعد الصلاة نرجع للمنزل الذي نقطن فيه ونقوم بذبح الأضحية وإعداد الشواء، ونقوم بالاستماع إلى الموسيقى**).

يلعب الدين دورا هاما في الحياة اليومية للمهاجرين، فهو عنصر مشكل للهوية التشاركية بين الوافد والمستقبل، وكذلك ملتقى للعملية التواصلية أثناء التفاعل في الفضاءات والمجالات العامة للمدينة مثل المساجد والزوايا وأماكن التسول...، وتعتبر ممارسة الطقوس الدينية العلنية من طرف المهاجرين وسيلة لإظهار تأشيرة رمزية تفتح مجالا لقبولهم كوافدين على المنطقة.

2_2_ اللغة في خطاب الهجرة:

"قد عد علماء التفاعلية الرمزية اللغة ومنهم جورج هربرت ميد وسيلة اتصال الناس ووصفوها بأنها إحدى أوجه التصرف الاجتماعي، وبنفس الوقت اعتبرها ميد واسطة لنقل الإشارات والرموز بين الأفراد، مما يساعدهم على التعبير عن المعاني التي فصح عنها الناس أو ينقلونها للآخرين. ولكل إشارة فعل خاص يدل على سلوك معروف من قبل المجتمع، بمعنى آخر هناك فهم مشترك لدى الأفراد لهذه الرموز والإشارات".[1]

و"تجدر الإشارة إلى أن دارسي اللغة من لسانيين وعلماء اجتماع والأنثروبولوجيا، يتفقون على كون اللغة ظاهرة ومؤسسة اجتماعية، إذ لا يمكن لأي مجتمع أن يعرف انسجاما وتواصلا بين أفراده دون وجود لغة توظف بوصفها أداة اتصال وتواصل بين مكوناته وأداة تعبير عن الحاجات المختلفة التي يضمنها العيش المشترك والعمران الاجتماعي. ومما يؤكد ارتباط اللغة بالمجتمع وبالتالي بالهوية وبالثقافة، كون اللغة تؤدي وظائف متعددة على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي، وترتبط بتاريخ المجتمع وتعرف التطورات ذاتها التي يعرفها المجتمع في الحاضر وفي المستقبل وتؤثر في تحولاته وتتأثر بها.[2]

في حديثنا مع (**موسى 27 سنة من النيجر**)، كلما تطرقنا إلى جانب من جوانب يومياته، إلا وخاطبنا بصفة الجمع (**نحن....كذا....نحن....كذا...**) مما دفعنا للتساؤل على الدلالة الرمزية لكلمة النحن في خطابه؟ ومن خلال ربط وتحليل مجموعة من المعطيات الإثنوغرافية التي جمعناها من مقابلاتنا مع مهاجري دولة النيجر، وجدنا أن أغلبهم يحاول التلميح لميزة تميزهم عن باقي مهاجري دول ساحل الصحراء، ألا

[1] عمر معن خليل: ***نقد الفكر الاجتماعي المعاصر***، ط2، دار الآفاق الجيدة، بيروت، 1991، ص ص197-198.

[2] محمد داود: ***الهوية والتعدد اللغوي والثقافي في الجزائر: واقع ورهانات***، أعمال اليوم الدراسي حول الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، مشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018، ص29.

وهي العنصر الثقافي المتمثل في **"لغة الهاوسا"** التي تعتبر أحد اللغات الرسمية لدولة النيجر، وأغلب مهاجري النيجر يتحدثون الهاوسا، وهذا ما أكده (موسى) (**نتكلمو هاوسا، فرنسية شوية، عربية شوية...**).

"وعلى ذلك نستطيع القول أنه يوجد مظهران أساسيان لهوية شخص ما، أولهما اسمه الذي يميزه عن غيره من الناس، وثانيهما، ذاك الشيء غير الملموس والأكثر تعقيدا وعمقا الذي يشكل في الحقيقة –ماهية المرء– والذي لا نملك كلمة دقيقة تصفه.."[1] ، فتميز مهاجري "النيجر" في الجانب اللغوي "الهاوسا" يخلق نوعا من الاختلاف بين مهاجري دول ساحل الصحراء في حد ذاتهم، فداخل المجتمع الورقلي (المجتمع المستقبل) لاحظنا عدم التمييز بين المهاجرين، فكل المهاجرين يطلق عليهم اسم (الأفارقة)، وهذه نظرة شعبية بعيدة عن الواقع الأنثروبولوجي ذلك أنها بعيدة عن الرؤية العلمية لهوية هؤلاء المهاجرين، سواءا من حيث جنسيتهم أو لغتهم أو حتى عقيدتهم، فالكل سواسية بالنسبة للمجتمع الورقلي بمختلف تشكيلاته، بما فيهم ساكنة ورقلة من الوافدون الجدد (هجرة داخلية) الذين يطلقون عليهم تسمية (الكحالش).

تلعب اللغة دورا هاما في العملية التواصلية بين الأفراد بصفة عامة، وبين الفاعلين بصفة خاصة، واللغة من الناحية الأنثروبولوجية أداة هامة يستعين بها الباحث لفهم وإدراك وملاحظة المجتمع الذي يدرسه، ناهيك عن أنها وسيلة لتواصله مع المبحوثين خاصة أثناء إجراء المقابلات معهم، أي أن هناك تكاملا وظيفيا بين المقابلة واللغة كأداة بحثية، يدفع بالباحث إلى تعلم لغة المجتمع المدروس لتجاوز هذا العائق، وتفاديا للاستعانة بمترجم قد يفشل في نقل الأفكار والمعاني بالصورة الصحيحة والدقيقة، خاصة إذا كان جاهلا بالمفاهيم والمصطلحات العلمية الأنثروبولوجية.

[1] هشام محمود لأقداحي: ***الإغتراب والهجرة***، مؤسسة شباب الجامعة –الإسكندرية، 2018، ص239.

قلنا أن الباحث يلجأ لتعلم لغة المجتمع المدروس (المبحوثين)، وفي دراستنا هذه وبالرغم من وجود صعوبات كثيرة في التعامل مع مهاجري دول ساحل الصحراء واجراء مقابلات معهم، والتي من بينها صعوبة التواصل معهم، فإن الكثير من المبحوثين يتقنون لغة الباحث، أي أنهم يتقنون اللغة العربية ويجيدون التواصل بها، وهذا ما سهل علينا عملية التواصل معهم، وهنا يخبرنا (**سالم 32 سنة من النيجر**) عن كيفية تعلمه للغة العربية، (**جئت إلى مدينة ورقلة في سنة 2012، وكنت لا أتقن إلا الهاوسا، لكن مع مرور الوقت بدأت في تعلم العربية من خلال التواصل مع السكان وأصدقائي، وعندما بدأت العمل عند عمي حسين قررت تعلم العربية، فكنت أسجل كل كلمة وأكتب معناها في دفتر، وبعد 3سنوات صرت أتحدث بها بشكل جيد،...**).

(**مريم 8 سنوات من النيجر**)[1] .. أوقفتنا في أحد شوارع وسط المدينة، طلبت قطعة نقدية بإلحاح، وفي ذات الوقت كانت تغني بلكنة غريبة عنا لم نستطع فك شفراتها، سألناها عن اسمها وعن مكان مجيئها، فأجابت بلغة عربية (عامية) وكانت مسترسلة في الكلام وتتحدث بطلاقة، مما دفعنا للتساؤل عن كيفية تعلمها للغة أو على الأقل الكلمات التي تساعدها في التواصل مع أفراد المجتمع المستقبل؟ طرحنا السؤال على "مريم" فأجابت:(**أبي وأمي علموني..**)، وهنا تجلت لنا أن التنشئة الاجتماعية لأطفال المهاجرين تهدف إلى تعليمهم ما يستفيدون منه في معاشهم اليومي.

في ذات السياق حول تعلم مهاجري دول ساحل الصحراء للغة المجتمع المستقبل، يخبرنا (**بشير 29سنة من النيجر**)(**هناك العديد من المدارس التي تدرس اللغة العربية في النيجر، خاصة المدارس القرآنية، ..كيف تعلمت اللغة العربية؟ مكثت أربع سنوات في مدينة تمنراست، لكن لم أبحث عن تعلم اللغة**

[1] مقابلة مع (مريم 8 سنوات من النيجر)، يوم 27 نوفمبر 2019.

العربية لأنني لم أكن أحتاج لها في تعاملاتي اليومية، لكن مع وصولي لمدينة ورقلة وجدت صعوبات كثيرة في التعامل والعمل، لهذا بدأت أحاول التعلم، وقد ساعدني في ذلك صديق لي يتقن العربية، وأنا اليوم أتقن الحديث بها. ماهي الهاوسا؟ الهاوسا لغة النيجر، أكثر من 80% يتحدثون الهاوسا. هل توجد لغات أخرى في النيجر؟ نعم، هناك الهاوسا كما قلنا، وهناك زارما، توغو، تارقي).

مما سبق ومن خلال ما توصلنا إليه في مسألة اللغة، ظهر لنا أن المبحوث الذي تعلم لغة الباحث (تحت إلزامية التعايش) تبادل الأدوار مع الباحث في مسألة تعلم اللغة، فكان له الدور الكبير في تسهيل العملية التواصلية أثناء إجراء المقابلات، كما أن غالبية مهاجري دول ساحل الصحراء الذين يتقنون العربية أو جزءا منها ويستخدمونها في التواصل مع الفاعلين الاجتماعيين من المجتمع المستقبل، هم المهاجرون الذين يمارسون التسول وأولئك الذين يمارسون التجارة الحرة (طاولات تجارة الأرصفة)، أما المهاجرين الذين يعملون في ورشات البناء والمزارع فهم يتعاملون مع المشرف عليهم كوسيط بينهم وبين صاحب العمل أو غيره.

لا يكمن دور اللغة العربية في كونها لغة للتواصل فقط بين المهاجرين والمجتمع المستقبل، ولا أداة لكسب لقمة العيش فقط، بل تتجاوز ذلك بكونها لغة تساعد على الاندماج والتفاعل إضافة إلى دورها في إحياء ذلك الرابط السوسيو-تاريخي بين دول ساحل الصحراء والصحراء الجزائرية، كما تساعد اللغة العربية في إظهار الهوية الدينية الإسلامية للمهاجرين، فهي لغة قراءة القرآن وممارسة الطقوس الدينية من صلاة وإحياء الأعياد والمناسبات.

2_3_ اللباس والهجرة:

لكل مجتمع ثقافة تمثله وتعطي صورة لهويته، ومن العناصر الثقافية التي تميز المجتمعات نجد نمط اللباس، حيث يختلف من مجتمع إلى آخر، ويتأثر بمجموعة عوامل من بينها البيئة والمناخ والتاريخ الثقافي ...إلخ، وكذلك فإن منطقة ساحل الصحراء تمتاز بهذا التنوع في نمط اللباس، ولهذا سنحاول في هذا العنصر من الدراسة الإجابة عن التساؤل التالي: **هل تأثر نمط لباس مهاجري دول ساحل الصحراء بفعل الهجرة؟**

إن الاختلاف والتمايز سمة من سمات المجتمعات البشرية، ولكل مجتمع مميزاته الثقافية الخاصة به، والتي تجعله مختلفا عمن سواه، وقد يكون الاختلاف في لون البشرة أو اللغة أو الممارسات الثقافية، ويعتبر نمط اللباس كعنصر ثقافي أحد المميزات التي يمتاز بها مجتمع عن آخر، خاصة ألبسة المناسبات والأعياد، وبالمثل فإن مجتمعات ساحل الصحراء لها خصوصيتها في نمط اللباس، حيث غالبا وكما تشير الكثير من المصادر أنه من السنغال إلى النيجر مرورا بمالي تمتاز هذه المنطقة بتشابه في نمط اللباس وخاصة التقليدي، وهذا راجع لتشابه الواقع البيئي والمناخي، والديني وحتى العرقي، فمثلا تعتبر احتفالات عيد الفطر مناسبة لارتداء "**البوبو**" (الجلابة التقليدية) في تلك المنطقة، "والبوبو، جلابة (جلابية أو دشداشة كما يطلق عليها في بعض البلدان) رجالية واسعة وناعمة الملمس، تتكون في الغالب من 3 قطع، وتحاك من قماش البازان الشهير أو القماش المشمع، يرتديه الكثير من الأفارقة في الأعياد والمناسبات السارة، نظرا لألوانه الزاهية أو الموحدة أحيانا".[1]

في مقابلة لنا جمعتنا بـ (**محمد 44 سنة من مالي**) بمسجد عقبة بن نافع بمنطقة سكرة، أخبرنا (**أملك لباس البوبو، وأرتديه أثناء أداء صلاة العيد، وأغلبية من معي من مالي يملك رداءه الخاص به، فهو**

[1] https://m.arabi21.com/Story/919490?fbclid=IwAR0QJzWmORbWEdoswp4alxvRAL9EQ1eL0gPq2Kcv-_aP3PSGbQLurHxFeAk

يمثل رمزا لعاداتنا وتقاليدنا الخاصة بهذه المناسبات، وحتى المهاجرين من النيجر يرتدونه في الأصل، إلا أن ظروفهم وغلاء ثمن البوبو يمنعهم من إرتدائه)، حديثنا مع محمد دفعنا لإجراء مقابلة حول موضوع لباس البوبو مع مهاجري دولة النيجر، حيث طرحنا استفسارا حوله وعن ملاحظتنا لعدم إرتدائه من طرف مهاجري النيجر؟ وقد صرح لنا (**عمار 33 سنة من النيجر**) قائلا: (**البوبو من الألبسة التقليدية التي نرتديها بمناسبة عيد الفطر، لكن ثمنه غال، وظروفي لا تسمح لي بشرائه، فأنا أتسول أمام المساجد لأشتري أكلا لعائلتي، والألبسة التي نرتديها أغلبها من صدقات السكان**).

الظروف المعيشية التي يعيشها مهاجري دول ساحل الصحراء لها دور كبير في الحفاظ على أساليب العيش والممارسات اليومية لهم، وكذلك تحدد مدى الحفاظ على الخصوصيات الثقافية لهم ضمن المجتمع المستقبل، فالمهاجرين من دولة مالي على الأقل محافظين على ارتداء الأزياء والألبسة التقليدية الخاصة بالمناسبات الدينية والاحتفالية، وهذا راجع إلى أن غالبيتهم (مهاجري مالي) ظروفهم المادية جيدة أو قريبة من الجيدة، بسبب مزاولتهم لأعمال تساعدهم على الكسب الوفير (البناء خاصة)، وهذا ما أكده كلام (**محمد**) وما عايناه في دراستنا، أما مهاجري دولة النيجر، فظروفهم المعيشية جد صعبة مقارنة بنظرائهم من مهاجري مالي، فحتى العاملين منهم هم أيادي عاملة بسيطة بأجور زهيدة لا تكفي في بعض الأحيان حتى لتوفير الطعام وتسديد ثمن كراء المساكن التي يقطنونها، ناهيك عن أن الكثير منهم يعتمدون على التسول كمصدر رئيس لمعيشهم.

وفي حديثنا عن التسول (سنتطرق له بالتفصيل في الفصل القادم من الدراسة)، فإن المهاجر المتسول تجد مظهره رثا وملابسه ممزقة أو غير نظيفة، توحي للناظر بحالة العوز والفقر الذي يعيشه هذا المتسول، في حين تجد المهاجر العامل مظهره لائق ونظيف.. المتمعن في هذا الاختلاف بين المتسول والعامل في المظهر

واللباس قد يرجع أسبابه إلى الاختلاف في المدخول المالي، لكن في الواقع فإن المدخول اليومي للمتسول قد يتجاوز مدخول العامل بأضعاف، هنا كان لزاما علينا محاولة البحث عن الأسباب الحقيقية لهذا الاختلاف؟ وبعد جمع العديد من المعطيات الإثنوغرافية وإجراء مقابلات ميدانية مع مهاجري دول ساحل الصحراء حول المظهر واللباس، اتضح لنا أن تلك الصور التي يظهرها المهاجرون خلال سلوكاتهم وأفعالهم اليومية، وذلك المظهر الشكلي المتمثل في الألبسة الرثة والقديمة، هي طريقة لتسويق واقع اجتماعي ومعيشي، فمظهر البؤس الذي يبدو على ألبستهم وطريقة أكلهم للطعام وأسلوب جلوسهم على حواف الطرقات وفي الشوارع، هي رسائل ودلالات رمزية توحي لمستقبلها بحالة الاحتياج والفقر والبؤس الذي يعيشه هؤلاء المهاجرين، مما يخلق هالة استعطاف وشفقة تدفع إلى البحث عن تقديم المساعدة لهم عن طريق المال أو الألبسة أو الأطعمة.

يحدثنا (**عمي حسين. ن 56سنة**) (**من فترة إلى أخرى أقوم بجمع الألبسة القديمة لأولادي أو من عند أصدقائي وأعطيها لـ"سالم"، وحتى عندما كانت تسكن معه زوجته كنت أجمع لها أيضا ما تلبسه من عند النساء، "سالم" لا يهمه المظهر واللباس، ما يهمه هو العمل والاستقرار المعيشي**). مثل عمي حسين الكثير من سكان مدينة ورقلة والجمعيات يقومون بتقديم المساعدات للمهاجرين، أطعمة وألبسة، وهذا ما جعل نمط لباس المهاجرين من دول ساحل الصحراء يتأثر بفعل الهبة والصدقة، فما يلبسه المهاجرون هو ما كان يلبسه سكان المجتمع المستقبل لهم، وظروف عمل المهاجرين وواقعهم المعيش يجعلهم يلبسون ألبسة قديمة ليكونوا جاهزين للعمل.

مما سبق يتضح لنا أن فعل الهجرة والظروف المحيطة به من تذبذب في الاستقرار والواقع المعيشي، وأن تلك الصدقات المتمثلة في الألبسة المقدمة للمهاجرين وأسرهم، كلها عوامل أثرت على نمط لباس

المهاجرين، فلباس المهاجرين في حياتهم اليومية هو ما كان يلبسه سكان المجتمع المستقبل (ورقلة)، باستثناء المناسبات والاحتفالات الدينية التي يرتدون فيها ألبستهم التقليدية كرمزية للحفاظ على الهوية الثقافية لبلدهم الأصل.

2_4_ العادات والتقاليد: إن مسألة الحفاظ على نمط العادات والتقاليد خارج إطارها الاجتماعي والمجالي صعب جدا، ذلك أن مسألة التأثر بالبعد السوسيو-ثقافي للمجتمع المستقبل هي مسألة حتمية يفرضها الواقع المعيشي للمهاجرين، لكن من خلال الدراسة الميدانية لاحظنا أن المهاجرين من دولة مالي محافظين بنسبة مرتفعة على عاداتهم وتقاليدهم، وخاصة في ما يتعلق بنمط الأكل واللباس، فأغلب وجباتهم وخاصة وجبة العشاء من الطعام الذي يطبخونه، وهو من الأكلات المحلية المالية، مثال ذلك أكلة **"لافيان"** وهي من الأكلات المالية التي يطبخها المهاجرون مرة في الأسبوع على الأقل، يخبرنا (**أمين 29 سنة من مالي**) (**لافيان من الأكلات الشعبية عندنا في مالي، ونحن نطبخها على الأقل مرة في الأسبوع، ويعتبر اللحم المكون الاساسي لها، إضافة إلى البصل والثوم والفلفل والطماطم والزيت والملح**)، ويستطرد أمين كلامه قائلا (**تعلمت الطبخ هنا في ورقلة، وكانت أمي وأختي الكبرى يرسلون لي طريقة الطبخ والمكونات عن طريق الواتساب أو الماسنجر، وكلما تعلمت طبخ أكلة مالية كلما شعرت بالسعادة، لأنها تذكرني بعاداتنا ومن أين أتينا**). وكما ذكرنا في عنصر "اللباس" فإن مهاجري دولة مالي محافظين على نمط ارتدائهم للألبسة التقليدية المالية خاصة الألبسة الخاصة بالمناسبات الدينية، وهم حريصين جدا على تفاصيل العادات والتقاليد الخاصة بهم. وقد ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي والظروف المعيشية الحسنة لفئة الماليين في الإبقاء على العادات والتقاليد، حيث يتم التواصل بين المهاجرين من دولة مالي وأهاليهم في مالي يوميا، وهذا ما نزع ذلك الشعور بالغربة وخلق جسر تواصل ولو كان افتراضيا بالوطن، فتجدهم يتبادلون

صورة رقم 07/06 لتحضير أكلة "لافيان" (من تصوير الباحث)

تفاصيل حياتهم اليومية وظروفهم المعيشية، إضافة إلى تلقي الأخبار والمعلومات وحتى التوجيهات من أهاليهم، كما يتواصلون بطريقة يومية فيما بينهم داخل مدينة ورقلة.

مهاجري دولة النيجر من المهاجرين الذين غادروا أوطانهم بسبب الحاجة الماسة لأبسط سبل العيش، لهذا فإن هذه الفئة من المهاجرين هم الفئة الأكثر عرضة لعملية الغزو الثقافي، بمعنى أن البحث عن الحفاظ على عادات وتقاليد البلد الأصل ليست من اهتمامات هذه الفئة التي تعاني مشاكل في توفير الغذاء ومكان للسكن وألبسة، وفي المقابلات التي جمعتنا بـ (بشير) مهاجر من النيجر، كان واضحا في الإجابة عن سؤالنا حول موضوع العادات التي يمارسها مهاجري دولة النيجر هنا في مدينة ورقلة؟ (..**كما أخبرتك سابقا، أغلب من جاؤوا من النيجر هم بسطاء ويبحثون عن العمل أو يتسولون من أجل إعالة أطفالهم، ومثل هكذا أشخاص ليس لهم الوقت للحرص عما يمثل عاداتهم وتقاليدهم، خاصة ما يرتبط**

منها بالأعياد والمناسبات. ماذا عن عادات الطعام عندكم؟ **تقريبا الأكل الموجود في النيجر موجود مثله في الجزائر، وحتى لو أردت أكل طعام خاص بنا، من يطبخه وأين ومتى؟ فأنا أعمل في هذا المستودع ولي فقط مكان للنوم...).**

2_5_ إشكالية الهوية والتعدد الثقافي:

مما سبق من عرض لمجموعة العناصر الثقافية التي تلعب دورا هاما وحيويا في الممارسات اليومية لمهاجري دول ساحل الصحراء، تجلت لنا مجموعة مؤشرات تلامس موضوع الهوية وإشكالية الصراع القائم بين المحافظة أو التخلي عن الهوية الثقافية، في ظل وجود ذلك الكم الهائل من التعدد الثقافي في مدينة ورقلة كمجال جامع للعديد من التركيبات الاجتماعية ومن التعدد الإثني والعرقي، لهذا فإن مسألة التعايش لدى مهاجري دول ساحل الصحراء اختلفت من الجانب الممارساتي على صعيدين، صعيد المحافظة على الهوية الثقافية ومقاومة الواقع الثقافي لمجتمع الاستقبال، وهذا يتجلى في تكتل المهاجرين في أماكن السكن والعمل وممارسة الطقوس الدينية والحفاظ على اللغة ونمط اللباس وكذلك الحفاظ على العادات والتقاليد، وهذا ما يمثل الأغلبية الساحقة من المهاجرين، فيما يظهر الصعيد الثاني تلك الفئة من مهاجري دول ساحل الصحراء التي ركنت لحتمية التنازل عن بعض سمات الهوية الثقافية للبلد الأصل أو البلد المنشأ، تحت وطأة الواقع المعيش والفقر وإلزامية التعايش مع الآخر المستقبل والمهيمن على المجال الثقافي والاجتماعي للمجتمع المستقبل.

تلعب الثقافة بالنسبة للأقليات العرقية دوراً حيويا كمصدر للهوية ويركزون عليها لمقاومة التهميش والتمييز العنصري فثقافة دولة المنشأ تساعد الناس في المحافظة على احترام الذات في وضع يتم فيه العمل على تقليل وتقويض قدراتهم وخبراتهم.... فالطبيعة الديناميكية للثقافة تكمن في قدرتها على ربط تاريخ

وتقاليد مجموعة من الناس مع الوضع الفعلي في عملية الهجرة. إن الهجرة وثقافة الأقليات في حاجة مستمرة لإعادة صياغتها على أساس احتياجات وتجربة المجموعة المهاجرة وإلى دفعها للتفاعل مع البيئة الفعلية في الدولة التي هاجرت إليها.[1]

بالرغم من وجود صور كثيرة عن تنازل الهوية الثقافية المهاجرة أمام هوية المجتمع المستقبل إلا أنه، "لا يصح أن نفترض أن المهاجرين الناجحين لابد أن يفقدوا هويتهم السلالية أو العرقية أو يتوقفوا عن احترام ثقافتهم الأصلية، كما أنه لا يصح الزعم بأن المهاجرين الفقراء أو غير الناجحين هم الذين تزداد احتمالات احتفاظهم بهويتهم السلالية أو العرقية".[2]

خلاصة:

المهاجرين من دول ساحل الصحراء شكلوا واقعا اجتماعيا من خلال خلق نسق وآليات للسكن والانتظام في جماعات العمل، إضافة إلى التفاعل اليومي داخل الفضاءات العامة في مدينة ورقلة والتي من أهمها المساجد والأسواق وأحياء المدينة، وقد أبرز الواقع الثقافي دور الدين واللغة في عمليات التواصل والاندماج بين المهاجر الوافد والمجتمع المستقبل، ودلالات التثاقف أو الانكفاء التي مست عنصر اللباس والعادات والتقاليد.

[1] ستيفن كاستلز، مارك ميلر: مرجع سبق ذكره، ص 115.

[2] محمد الجوهري وآخرون: ***الأنثروبولوجيا الاجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج***، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2004، ص 443.

الفصـــل الخامس

الفصل الخامس

معيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة

1_ معيش الذات الفاعلة في المجتمع المستقبل (العمل أنموذجا)

1_1_ مجالات عمل المهاجرين في مدينة ورقلة

1_2_ الفعالية التنموية لليد العاملة المهاجرة

2_ التسول بدل العمل (المعيش الماص)

2_1_ الحياة اليومية كمقاربة لدراسة ظاهرة التسول

2_2_ أماكن التسول

2_3_ الواقع المعيشي للمتسولين الأفارقة في مدينة ورقلة

3_ المعيش اليومي في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19)

3_1_ تأثير جائحة كوفيد-19 على واقع المعيش اليومي للمهاجرين

3_2_ المهاجر العامل في أزمة

3_3_ التسول: مهرب / أم مكسب من الأزمة؟

3_4_ الانطواء والتخفي: بروتوكول صحي أم إحتراز أمني؟

4_ المجتمع المستقبل ودوره في معيش المهاجرين

4_1_ دور الجمعيات الخيرية

4_2_ المعروف/ الصدقة/ الكرم..موائد للمهاجرين

تمهيد:

يضع هذا الفصل من الدراسة الجانب المعيشي من حياة مهاجري دول ساحل الصحراء تحت المجهر الأنثروبولوجي، في محاولة لتحليله وفهم خباياه وإظهار ما خفي منه لغير المتخصصين، من خلال التطرق إلى ثلاثة زوايا رئيسية في هذا الجانب، العمل كمصدر رزق وعيش وكذلك من حيث أنه يلعب دور مهم في معادلة دور المهاجرين في الفعالية التنموية داخل مدينة ورقلة، بالإضافة إلى التسول الذي يعتبر ملجأ الكثير من المهاجرين لتلبية حاجياتهم المعيشية خاصة مهاجري دولة النيجر، ثم التطرق إلى معيش هؤلاء المهاجرين في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19).

1_ معيش الذات الفاعلة في المجتمع المستقبل (العمل أنموذجا):

في هذا العنصر من البحث سنتطرق إلى تفصيل المجالات التي يشتغل بها المهاجرين من دول ساحل الصحراء، وآليات كسب القوت اليومي من خلال هذه الأعمال، بالإضافة إلى دور اليد العاملة المهاجرة في تفعيل التنمية في مدينة ورقلة، التي تشهد فعالية تنموية على جميع الأصعدة خاصة في السنوات الأخيرة بصفتها منطقة جذب للهجرة الداخلية والخارجية، وفي الأخير سنعرج إلى تأثير جائحة كورونا (كوفيد-19) على العمل كمصدر رزق وعيش للمهاجرين من دول ساحل الصحراء.

1_1_ مجالات عمل المهاجرين في مدينة ورقلة:

كما أسلفنا في الذكر في الفصول الأولى من هذا العمل، فأن مدينة ورقلة مدينة جاذبة لليد العاملة، سواء من داخل الوطن أو من خارجه، ومهاجري دول ساحل الصحراء وجدوا في مدينة ورقلة ذلك الهدف الأساس وعامل الجذب الذي يبحثون عنه، ألا وهو توفر العمل لكسب الرزق وتحسين الظروف المعيشية، ومع توفر فرص العمل في العديد من المجالات وجد هؤلاء المهاجرين البيئة الملائمة للاستقرار في مدينة ورقلة وضواحيها.

فيما يلي سندرج أهم المجالات التي تستقطب اليد العاملة من مهاجري دول ساحل الصحراء:

1_1_1_ أعمال البناء:

تشهد مدينة ورقلة مشاريع تنموية كبرى في السنوات القليلة الماضية، ولازالت مستمرة، ومن أهم هذه المشاريع نجد مشاريع البناء، عمارات وسكنات (بمختلف صيغها)، وهياكل ومؤسسات تابعة للدولة، ومرافق رياضية وترفيهية، وتهيئة الطرقات، حيث تشهد العديد من المناطق في المدينة ديناميكية كبرى في

أشغال البناء، خاصة المناطق التي على حدود المدينة، مثل حي النصر (الخفجي) والأحياء التابعة له (حي 34، حي 38)، والطريق الرابط بين حي الخفجي وبامنديل، وبامنديل التي تكاد لا تتوقف فيها وتيرة أشغال البناء، بالإضافة إلى بلدية حاسي بن عبد الله، وسيدي خويلد، اللتان تعيشان حالة نمو وتوسع كبيرين في الجانب العمراني والديمغرافي، حيث تستقطبان الكثير من الوافدين لمنطقة ورقلة والذين يبحثون عن الاستقرار، فأغلبية ساكني منطقتي سيدي خويلد وحاسي بن عبد الله هم من الوافدين الجدد، الذين يعملون بشكل دائم أو مؤقت في ورقلة، من رجال الأمن والجيش والدرك الوطني وعمال في المؤسسات الخدماتية التابعة للدولة، وعمال حرفيين أو تجار أو أصحاب مشاريع مختلفة.

إن هذه الديناميكية في مشاريع البناء تستلزم توفر اليد العاملة المؤهلة والبسيطة، وهذا ما توفر في اليد العاملة من مهاجري دول ساحل الصحراء (النيجر – مالي)، ذلك أن هؤلاء المهاجرين يبحثون عن عمل يوفر لهم لقمة العيش مهما كان الأجر الذي يحصلون عليه، فتجدهم يشتغلون في أعمال البناء سواء عند السكان أو عند المؤسسات المختلفة للمقاولاتية والبناء، لكن نشير إلى أن عمل المهاجرين يكون بصورة لا قانونية (غير مصرح به)، إلا للقلة القليلة التي تعد على الأصابع من المهاجرين بصورة نظامية أو الحاصلين على تصريح عمل (للأسف لم نصادف أي عامل له تصريح بالعمل من السلطات الجزائرية)، ومع ذلك فإن السلطات الأمنية والمحلية تغض الطرف عن عمالة المهاجرين الأفارقة، وذلك لمجموعة أسباب من أهمها الحاجة الماسة لليد العاملة، حيث يخبرنا (**إبراهيم 40 سنة –ورقلة**)[1] **(عند ترحيل المهاجرين الأفارقة من مدينة ورقلة سنة 2017، رفع العديد من المقاولين بمدينة ورقلة شكوى رسمية للوالي، وقاموا بالإحتجاج بسبب توقف مشاريع البناء على مستوى المنطقة، وهذا ما جعل الوالي والسلطات الأمنية تغض الطرف عن تواجد العمالة الأفريقية في مشاريع البناء بورقلة)**، وهذا ما لامسناه من خلال زيارة

[1] مقابلة مع (إبراهيم 40 سنة من ورقلة)، بتاريخ : 23أكتوبر 2019.

مشاريع البناء المختلفة وعلى اختلاف أنماطها وأحجامها، ذلك أن أغلبية العمال هم المهاجرين من دول ساحل الصحراء.

صورة رقم: 08
توضح أحد العاملين المهاجرين
في ورشة بناء
من تصوير الباحث

أعمال البناء من أهم الوجهات التي يقصدها المهاجرون، ذلك أنها توفر لهم دخل يومي جيد يتراوح بين (1200دج – 2000دج)، على اختلاف دور العامل وكفاءته، هذا بالنسبة للعمال في ورشات البناء التابعة للمقاولين، أما المهاجرون الذين يمتهنون مهنة البناء لحسابهم الخاص (العاملين لدى السكان المحليين) فقد تصل الأجرة اليومية للبناء الرئيسي إلى أكثر من (5000دج)، وهذه الفئة من العمال أغلبهم من دولة (مالي)، فهم يتقنون أعمال البناء والدهن والبلاط، وكما سبق أن ذكرنا فإن مهاجري دولة مالي ذوو خبرات مهنية وعلمية لابأس بها على النقيض من مهاجري دولة النيجر الذين يتسمون بالبساطة في شتى مختلف جوانب الحياة، ولهذا تجد المهاجرين من دولة مالي يشتغلون بصفة بناء رئيسي، والمهاجرين من دولة النيجر يشتغلون بصفة مساعد بناء.

1_1_2_ الفلاحة والعمالة المهاجرة:

إن وتيرة التنمية تسير بشكل متوازي بين مختلف الأنشطة والخدمات والأعمال، وكما ذكرنا في العنصر السابق فإن مدينة ورقلة كما تشهد تنمية كبرى في مشاريع البناء فإن ذلك يتماشى أيضا مع الفلاحة والزراعة، هذه الأخيرة التي تعتبر أحد المجالات التي تستقطب اليد العاملة البسيطة، وهي وجهة رئيسية لمهاجري دول ساحل الصحراء، الباحثين عن عمل لكسب الرزق وتوفير لقمة العيش.

التنمية في مجال الفلاحة هو شكل من أشكال التنمية الاقتصادية التي تعرف بأنها "تقدم للمجتمع عن طريق استنباط أساليب إنتاجية جديدة أفضل ورفع مستويات الإنتاج، من خلال إنماء المهارات والطاقات البشرية وخلق تنظيمات أفضل"[1]، وهذه العمليات تحتاج إلى زيادة في رأسمال المادي والبشري على حد السواء، وبما أن واقع الحال في الجزائر عامة وفي ورقلة خاصة يشير إلى قلة اليد العاملة البسيطة بسبب عزوف الشباب عن العمل في مجالات البناء والفلاحة والزراعة (طبيعة الرجل البدوي خاصة الذي يعتمد على الرعي والجني والأعمال السهلة)، فإن هذا الفراغ والنقص في اليد العاملة يستلزم اللجوء إلى العمالة المهاجرة من دول ساحل الصحراء، وفي المقابل تجد هذه العمالة الفضاء الذي يساعدها على تلبية حاجياتها.

يقصد مهاجروا دول ساحل الصحراء المزارع وواحات النخيل للعمل لغايات كثيرة نذكر منها :

_ العمل في المجال الفلاحي لا يحتاج شهادة أو كفاءة عليا.

_ العمل في المزارع والواحات يوفر مكان للعمل ومكان للمبيت والسكن.

[1] هوشيار معروف: ***دراسات في التنمية الاقتصادية***، ط1، دار الصفاء للنشر، جامعة البلقاء التطبيقية، 2005، ص11.

_ العمل في المزارع والواحات يساعد مهاجري دول ساحل الصحراء على التخفي من المصالح الأمنية.

وفي المقابل فإن أرباب العمل في القطاع الفلاحي بمنطقة ورقلة يجدون في العمالة المهاجرة تلك اليد العاملة التي لا تحتاج أجرة كبيرة وتؤدي أعمالها دون تذمر أو تكاسل، فمن خلال بعض الخرجات الميدانية إلى المزارع وجدنا أن العمل في القطاع الفلاحي بالنسبة للعمالة المهجرة ينحصر في أعمال **الحراسة، واعداد وتحريك مرشات الري وجني المحاصيل**، وبهذا فإن أرباب العمل قد وفروا أهم عنصر وهو الرأسمال البشري الذي يساعدهم في تسيير عمليات الإنتاج الفلاحي والزراعي.

1_1_3_ الورشات والمحلات التجارية:

من الميادين الأخرى التي تعتبر مقصدا أو مجالا من مجالات عمل مهاجري دول ساحل الصحراء، نجد ورشات النجارة، وورشات اللحامة، محطات غسل السيارات، وورشات ميكانيك السيارات والشاحنات، حيث ومن خلال خرجاتنا الميدانية لاحظنا وجود هذه الظاهرة بكثرة خاصة في منطقة **الزاينة** و**سكرة** و**بندومة**، حيث تعرف هذه المناطق كثرة الورشات الخاصة بالأعمال اليدوية مثل اللحامة والنجارة.

في مدينة ورقلة لا يخلو حي أو ناحية من الورشات أو المحلات التجارية، فطابع المدينة والكثافة السكانية المختلفة تفرض كثرة المحلات والورشات، ومنطقة الزاينة أحد المناطق المعروفة في مدينة ورقلة بكثرة الورشات ومستودعات بيع الاسمنت والبلاط والخشب، وأدوات اللحامة والحدادة ومواد البناء، ويكاد لا يخلو مستودع أو ورشة عمل من تواجد العمالة المهاجرة من دول ساحل الصحراء، حيث كان لنا مقابلة مع "**محمود 35سنة من مالي**" يعمل في ورشة للحدادة واللحامة، وعن سؤالنا حول ظروف تواجده هنا، أخبرنا (**أنا نعرف نسودي ونعرف نخدم، وكي جيت ورقلة حوست نخدم على روحي في حاجة نعرفها، وبديت هنا عندي 3 سنين، ومن العام واحد راني أنا حاكم القاراج على المعلم**)، وفي ذات السياق فإن

رفيق محمود "**عيسى 36سنة من مالي" أخبرنا "أنا جيت عندي زوز 2 عام عند محمود، وهو اللي خدمني معاه، نسكنو مدينة وحدة في مالي، ومن بكري نخدمو مع بعض)**.

إذا، العمل في الورشات هو مقصد اليد العاملة المؤهلة وذات الخبرة في مجال العمل، وهذه الميزة اثنوغرافيا تخص المهاجرين من دولة مالي، حيث كلما تصادفنا بعامل يتقن مهنته أو صاحب حرفة (عنده شهادة)، إلا ووجدناه من مالي، مما يعكس الخلفية التي قدم منها هؤلاء المهاجرين والتي تؤكد ما سبق وأن ذكرناه أن مهاجري دولة مالي يسعون لتحسين المستوى المعيشي على عكس مهاجري دولة النيجر الذين يبحثون عن سبل العيش، وهذا ما توحي به الأعمال التي يمارسونها، ففي منطقة الزياينة أغلب العتالين وحراس المستودعات هم من مهاجري دولة النيجر.

وليس ببعيد عن الورشات والمستودعات تشهد منطقة الزياينة تواجد فئة من مهاجري دول ساحل الصحراء الذين يجتمعون في جماعات متفرقة، هذه الفئة تعتبر يد عاملة بسيطة تنتظر من يحتاجها في أعمال البناء أو العتالة أو السقي...، وهي نفس الصورة التي عايشناها في منطقة الكاتشوما (قلب مدينة ورقلة) وبالضبط في الطريق المؤدي لمنطقة الرويسات، وفي مدخل منطقة بامنديل وحي النصر من جهة الطريق الإجتنابي لمدينة ورقلة. وتعتبر هذه الفئة مخزون اليد العاملة التي يحتاجها أصحاب مشاريع البناء وأصحاب المزارع والمستودعات، فكل من يحتاج إلى عمال ينتقل مباشرة إلى أحد هذه الأماكن ويقوم بالمساومة معهم حول سعر العمل الذي سيقومون به.

كما كان لنا مقابلة مع "**سالم من النيجر**"، الذي يشتغل منذ 10 سنوات في مستودع خاص بأحد سكان مدينة ورقلة، يقوم سالم بعدة أعمال من بينها: التنظيف والحراسة والاهتمام بكلاب الحراسة، وفي حديث معه أخبرنا (**نخدم هنا عندي 10 سنوات، وقد تعلمت العربية هنا في هذا المستودع، ومنذ**

سنتين جلبت زوجتي معي هنا. هل مازالت تعيش معك هنا؟، **لا، فقد عادت إلى النيجر منذ 6 أشهر، وأنا كل 5 إلى 6 أشهر أعود وأمكث في النيجر قرابة الشهر أو أكثر، ثم أعود إلى ورقلة**. ما علاقتك بصاحب المستودع؟، **علاقتنا طيبة، يهتم بي وبعائلتي، وهو يحب أن أطبخ له الشاي)**.

يلقى أصحاب الورشات والمستودعات في اليد العاملة المهاجرة من دول ساحل الصحراء مجموعة مميزات تدفعهم للاهتمام بهم، ومن أهم هذه المميزات هي الأجر المنخفض، والذي قد يصل إلى أن يعمل المهاجر مقابل الطعام والمبيت فقط، وكذلك عدم التذمر من الأعمال الموكلة لهم مهما كان نوعها، بالإضافة إلى شمولية النشاطات، بمعنى، العامل المهاجر يقوم بعدة أدوار وأعمال مختلفة، فهو يغني صاحب الورشة عن جلب عمال آخرين، وهذا ما يؤكده **"عمي حسين" (سالم، خير من عشرة خدامة، وزيد يعرف العربية وإنسان ثقة وأمين)**.

1_1_4_ تجارة الأرصفة:

إن العمل في التجارة هو من الأعمال التي احتاجت جرأة كبيرة لممارستها من طرف بعض المهاجرين من دول ساحل الصحراء الوافدين على مدينة ورقلة، وأغلب أعمال التجارة الممارسة من هؤلاء المهاجرين هي تجارة حرة تعرف باسم "تجارة الأرصفة"، وهو نوع من التجارة التي تتماشى مع الصفة القانونية لهؤلاء المهاجرين (غير النظامية).

ونقصد هنا تواجد المهاجرين في الأسواق كفاعلين وشركاء في النشاط التجاري الممارس داخل الأسواق، ومن بين الأسواق التي تشهد هذا التفاعل نجد منطقة الكاتشوما ومنطقة الزياينة وسكرة، والسوق الأسبوعي وسوق الحجر الذي يعتبر أبرز الأسواق، حيث يشهد تواجد العديد من طاولات تجارة الأرصفة التي يملكها مهاجرون من دول ساحل الصحراء، وبخاصة مهاجري دولة النيجر، وقد بلغ عدد الطاولات

ثمانية (8) طاولات أغلبها تمارس تجارة بيع النظارات الشمسية وساعات اليد والاكسسوارات الرجالية والملابس الداخلية.

هذا العدد من طاولات تجارة الأرصفة بمنطقة سوق الحجر لم يكن كذلك قبل جائحة كورونا (كوفيد19)، حيث قابلنا أحد بائعي النظارات الشمسية (موسى 30سنة من النيجر) والذي كان لنا لقاءات معه قبل الجائحة بمنطقة الكاتشوما، وهنا أخبرنا (موسى) (..**ايه، كنت نخدم في الكاتشوما، وفي وقت كورونا رجعت للنيجر كي طردتنا الشرطة، وكي رجعت لورقلة كاين اللي دارلي بلاصة هنا في سوق الحجر، وحتى اللي تشوف فيهم أغلهم جدد هنا**..). كلام موسى لفت انتباهنا إلى البحث حول تساؤل كان وليد ملاحظات متعددة، **كيف وجد هؤلاء المهاجرين أمكنة لبسط طاولاتهم داخل سوق الحجر؟** وقبل التطرق إلى تفاصيل الإجابة عن سؤالنا كان لزاما علينا البحث عن الخصائص المجالية التي على أساسها تم اختيار تلك المناطق لممارسة تجارة الأرصفة أو التجارة الحرة بالنسبة لمهاجري دول ساحل الصحراء، لماذا منطقة سكرة؟ الزياينة؟ الكاتشوما؟ سوق الحجر وقصر ورقلة؟.

تمثل منطقة الكاتشوما وسكرة والزياينة مجالا اجتماعيا خاصا بالوافدين الجدد لمدينة ورقلة، وفي مجال دراستنا هي مجالات تعطي مساحة لاندماج المهاجرين، حيث تصبح هذه المناطق مجالا لتشكل نمط هوية اجتماعية جديدة بعيدة عن النمط القبلي السائد في مدينة ورقلة، مما يفسح المجال لاندماج المهاجرين في واقع المعيش اليومي والتماهي مع مختلف النشاطات (عمل، تجارة، سكن، تسوق..)، فمنطقة سكرة هي منطقة استقبال للهجرة الداخلية والخارجية معا، وتحوي خليط اجتماعي كبير تشكل بعد العشرية السوداء، وفي ذات السياق فإن سوق الحجر هو الواجهة الخارجية لقصر ورقلة، هذا الأخير الذي تميز بأنه قبلة للهجرة منذ عقود كثيرة، وكما ذكرنا سابقا فإن قصر ورقلة هو نقطة تقاطع بين مسارات الهجرة ومسارات

التجارة التي كانت تحدث بين شمال افريقيا وجنوب الصحراء (دول ساحل الصحراء)، لهذا يتسم قصر ورقلة بطابع المدنية الذي يشكل مجالا **للتعايش بين الوافد والمستقبل**.

ومما سبق يمكننا القول بأن أصحاب الطاولات وجدوا المجال الاجتماعي قبل الحيز المكاني لممارسة نشاطاتهم، وهذا ما يؤكده الإخباري (**إبراهيم 43 سنة**) (**منطقة القصر معروفة باحتوائها للآخر، وأصحاب الطاولات من الماليين "التسمية المحلية" يتغيرون في فترات تتراوح بين 2–3 سنة، فهؤلاء الذين تراهم لن تجدهم بعد سنتين، لأنهم يجمعون الأموال ويسافرون إما نحو الشمال إلى أوروبا أو يعودون لبلدانهم**)، إن كلام إبراهيم يفسر نمط التجارة الممارس من قبل المهاجرين، ذلك أنه نمط تجارة بسيط يسهل عملية كسب المال وحرية التنقل ومؤشر لعدم الرغبة في الاستقرار.

1_2_ الفعالية التنموية لليد العاملة المهاجرة:

كما ذكرنا سابقا فإن مدينة ورقلة تشهد تنمية في مختلف القطاعات، مما ساهم في جعلها منطقة جذب لليد العاملة الوطنية والأجنبية على حد السواء، وتعتبر اليد العاملة (العمالة) المهاجرة من دول ساحل الصحراء من أهم الموارد البشرية المساهمة في عملية التنمية التي تعيشها مدينة ورقلة، فاليد العاملة المهاجرة تسهم كثيرا في موازنة العرض والطلب.

تكمن أيضا فعالية اليد العاملة من مهاجري دول ساحل الصحراء في دورها الهام في إتمام مشاريع البناء الكبرى التي تشهدها مدينة ورقلة منذ سنوات، ذلك أن تزايد عدد المهاجرين الوافدين إلى المدينة وخاصة الباحثين منهم عن العمل ساهم في توفير اليد العاملة البسيطة والفنية التي يحتاجها أصحاب مشاريع البناء والمقاولات، بالإضافة إلى أن الكثير من هؤلاء العمال المهاجرين يقومون بدور الحراسة والرقابة على ورشات ومواد البناء، ناهيك عن أن العمالة الأفريقية أو اليد العاملة من مهاجري دول ساحل الصحراء

هي مقصد للكثير من سكان مدينة ورقلة، يحدثنا أحد الاخباريين (عمر. ح)، **(سكان مدينة ورقلة يبحثون عن اليد العاملة المهاجرة من مالي والنيجر، بسبب تفانيها في العمل وانضباطها، إضافة إلى أن أجرة الأعمال التي يقوم بها المهاجرون الأفارقة هي أقل بكثير من الأجرة التي تطلبها اليد العاملة المحلية في مدينة ورقلة).**

إن عمل مهاجري دول ساحل الصحراء في مجالات البناء والفلاحة والتجارة الحرة والعمل في ورشات النجارة واللحامة ومستودعات مواد البناء..إلخ، كلها تشكل خيوطا متقاطعة تنسج لنا شبكة تعبر عن الفعالية التنموية لليد العاملة المهاجرة إلى مدينة ورقلة، فهؤلاء المهاجرين يقومون بأعمال يرفض سكان المدينة القيام بها، وهذا ما يحيلنا إلى كلام الاقتصادي الأمريكي الشهير "ميلتون فريدمان" عن دور الهجرة (غير الشرعية) في التنمية الاقتصادية، حيث اعتبر فريدمان "أن المهاجرين غير الشرعيين يفيدون الاقتصاد الأمريكي لأنهم يعملون دون الحصول على حقوق المواطن الأمريكي في الرعاية الاجتماعية والصحية، أن حصولهم على رواتب أقل لأعمال لا يقوم بها الأمريكيون هو أساس في النظام الاقتصادي"[1]، كلام فريدمان ميلتون يمكن إسقاطه على الوضع العام الذي تعيشه مدينة ورقلة المستقبلة لكم هائل من المهاجرين، والتي تعرف عزوف أبنائها عن ممارسة الكثير من الأعمال اليدوية أو الشاقة، ولهذا فهي تجد تعويضا من اليد العاملة الوافدة من دول ساحل الصحراء.

ومن ناحية أخرى فإن عمل مهاجري دول ساحل الصحراء يساعدهم على تشكيل واقع إيجابي في المجتمع " .. بمعنى آخر فإن العمل مشجع حقيقي على الاندماج والتكامل، وعلى التفاعل مع المجتمع بروح إيجابية بناءة، يشعر في ضوئها بأنه عضو حقيقي ينتسب إلى مجتمعه الجديد ويكون لبنة من تركيبته، وفي

[1] جهاد الزين ، ***بين ترامب "التافه" والترامبية "الرصينة"***، مقال منشور على موقع صحيفة عمون، تاريخ النشر: 31 جانفي 2017، تاريخ الاطلاع: 22 جويلية 2022، رابط المقال:
https://www.ammonnews.net/article/299054

الحقيقة فإن كثيرا من الدراسات تؤكد حقيقة العلاقة الناجحة المميزة بين امتلاك فرصة عمل مناسبة وحالة الشعور بالانتماء إلى مجتمع بعينه، فوطن الإنسان ومستقره بعد موطن الولادة هو موطن العمل".[1]

2_ التسول بدل العمل (المعيش الماص):

على غرار العمل الذي هو أساس كسب القوت اليومي، فإن هناك طرق أخرى تعمل على توفير الحاجات المعيشية للمهاجرين، ومن أبرزها ظهورا وانتشارا هو ظاهرة "**التسول**"، التي انتشرت وبصورة كبيرة وبارزة في أوساط المهاجرين على اختلاف فئاتهم، وفي هذا الجانب من دراستنا سنتطرق إلى إعطاء قراءة لهذه الظاهرة من منظور أنثروبولوجي اعتمدنا فيه على مقاربة الحياة اليومية ذات الأدوات والمناهج المتعددة التي تساعد على فك شفرة مثل هكذا ظواهر.

2_1_ الحياة اليومية كمقاربة لدراسة ظاهرة التسول :

في هذا السياق، تهدف هذه الدراسة لفهم المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء انطلاقا من مقاربة الحياة اليومية وتحديدا من خلال خطاب المهاجرين الذين أجرينا معهم مقابلات في الفضاءات العمومية (محطة المسافرين، وسط المدينة، الأسواق، المساجد..) والأحياء الشعبية (حي الزاوية 02 بمنطقة الرويسات، حي سكرة والزياينة، حي بوعامر، القصر العتيق).

إن تموضع المهاجرين ضمن سياق مجالي (الأحياء الشعبية المذكورة) سمح لهم بخلق إنتظاميات مخيالية تتضمن تجمعات تتعارف وتتواصل بفضل تقاطعات ثقافية وهوياتية مشتركة.

[1] الألوسي تيسير: ***المهاجرون والعمل والاندماج***، مجلة ألواح سومرية، العدد 1، يوليو–تموز، 2004 www.somerian-slates.com

ولهذا تعمل مقاربة الحياة اليومية على "فهم السلوك الاجتماعي وتأطيره بطريقة بنيوية من خلال مفهوم مافيزولي عن الشكلانية التصويرية"[1]، التي تهتم بالمعرفة المشتركة بكل رموزها ودلالاتها لفهم المعيش اليومي، وخاصة المهاجرين من دول ساحل الصحراء محل دراستنا.

سنحاول إسقاط مقاربتنا على حدث من الأحداث الصغرى التي تعتبر ذات أهمية كبرى من حياة مهاجري دول الساحل، هذه الأحداث كلها ليست لها غاية محددة، لكنها محملة بالمعنى من طرف الفاعلين (المهاجرين)، وأبرز هذه الأحداث هي ظاهرة التسول وما يندرج ضمنها وما يتعلق في سياقها من أحداث تعتبر شكلا من أشكال الواقع المعيش للمهاجرين، وبالتالي هي كاشفة من الكواشف التي تعري الأطر السوسيو-ثقافية والاقتصادية للمهاجرين كفاعلين في مجتمع غريب عنهم وله خصوصياته الثقافية والاجتماعية وحتى المجالية.

وعلى هذا الأساس سننطلق من الواقع دون الدخول في التأويلات الضيقة، للبحث عن عمق المعنى الذي يختفي وراء السلوكات والممارسات، إضافة إلى البحث في المعيش اليومي وتقلقلاته، حيث تسمح لنا الأحداث الصغيرة (مثل التسول) التي يمكن دمج شتى الظواهر الاجتماعية فيها "بإدراك المظاهر المتعددة للحياة المشتركة بمؤسساتها وحركاتها الثقافية، ببعدها المبتذل واليومي، وبمكنونها التخيلي"[2]، ولإظهار التمفصل المعقد للأحداث اليومية وكشف الحقائق المخفية داخل تفاصيل ظاهرة تسول مهاجري دول ساحل الصحراء، كان لزاما علينا اقتحام الميدان وتشكيل رابط عاطفي معه يدفعنا إلى الحرص على زيادة الاهتمام به.

---

[1] فالنتيا غراسي. ***مدخل إلى علم اجتماع المخيال – نحو فهم الحياة اليومية*** (المجلد 1). (محمد عبد النور، وسعود المولى، المترجمون) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018، ص 95.

[2] نفس المرجع، ص 108.

2_2_ أماكن التسول:

المراد هنا هو توضيح أهم الأماكن التي تتم فيها ممارسة التسول من طرف مهاجري دول ساحل الصحراء، إضافة إلى أهم مميزات كل مكان وأسباب اختياره، ونمط التوزع حسب فئة التسول، حيث أنه من خلال ملاحظاتنا الميدانية تم تحديد الأماكن التالية:

أ_ المساجد:

تعتبر المساجد من أهم الأماكن التي يقصدها المتسولون، حيث تكثر صدقات المحسنين من المصلين الذين تتم استمالتهم وملامسة جيوبهم عاطفيا من قبل المتسولين، وهذا من باب استغلال العاطفة الدينية وما تمثله الصدقة في حياة المسلم.

في زيارة ميدانية لثلاث 3 مساجد (مسجد عقبة بن نافع –سكرة–، مسجد أبي يعقوب –بني ثور، مسجد الزاوية القادرية –الرويسات–)، لاحظنا أن المتسولون أغلبهم من فئة الرجال (شباب وكهول)، وهم من رواد المساجد ومصلين فيها، وبعد كل صلاة خاصة صلاتي الظهر والعصر يقفون أمام مداخل المساجد وبأيديهم مسابح وعلب فارغة أو أي شيء يمكنه حمل النقود في وضعية استعطاف للمصلين، حيث تتم عملية التواصل بين المتسولين والمصلين باستخدام لغة الجسد وأحيانا قليلة ألفاظ توحي بحاجة المتسول للصدقة من قبيل (صدكة/صدقة)، وفي حديث لنا مع أحد المتسولين (موسى 33 سنة من النيجر) عن سبب اختيار المساجد لممارسة التسول قال ما مضمونه (المصلين يحبون إعطاء الصدقات)، أما (علي 39 سنة من النيجر) قال (آتي للمسجد أصلي ثم أقف أمام المدخل فيعطونني صدقة أشتري بها عشاء عائلتي)، مما لامسناه من كلام (علي) أن المتسولين يقصدون المساجد لسببين رئيسيين هما أهمية الصدقة لدى رواد المساجد، وعدم الحاجة لطلبة الصدقة أو المال لفظيا مما يحول بينهم وبين شعورهم بالاهانة، أي

فينومينولوجيا يمكننا القول أن التسول باستخدام الإشارة أو لغة الجسد بالنسبة لمهاجري دول الساحل خاصة الرجال منهم يساعدهم على تجاوز ذاك الشعور بالدونية المرافق لوصمة التسول.

ب_ المحطة البرية لنقل المسافرين:

تشهد محطة النقل البري لمدينة ورقلة اكتظاظا وحركة دائمة لما تمثله المنطقة من نقطة إستراتيجية هامة بالنسبة لكامل مناطق الوطن، حيث يمكننا القول أن مدينة ورقلة هي عاصمة الجنوب، لهذا فهي تمثل مكان هام وقبلة للمتسولين.

أغلب فئات المتسولين الذين يرتادون محطة المسافرين هم من النساء والأطفال، حيث يتنقلون بين الحافلات في الأوقات المخصصة للركوب، تتم ممارسة التسول في ديناميكية تتناسب طردا مع ديناميكية المحطة في مضمونها البنيوي، بمعنى أن عنصر الإلحاح في طلب الصدقة من المسافرين غير موجود، فالمتسول (ة) يومئ بطلب الصدقة أو يلفظ العبارات الموحية لحاجته مع عدم التوقف في مسيرته داخل رواق الحافلة إلا لحظة مد يده للامساك بما تجود به أيادي المسافرين من نقود، وذلك للانتقال بسرعة إلى الحافلة الأخرى عساها تكون أكثر رزقا بالنسبة له.

تخبرنا (**عائشة 38سنة من النيجر**) (**المحطة مكان آمن لي ولأطفالي حيث يمكنني تركهم يلعبون وأنا أقوم بطلب الصدقة، وهنا يوجد الطعام والشراب والمراحيض وكل ما نحتاجه**)، من هنا تتضح أهمية المحطة والمرافق التابعة لها (مطاعم ومحلات ومقاهي ودورات مياه)، بالإضافة إلى أنها المكان الذي يجمع الغرباء، فالمتسول من مهاجري دول الساحل والمسافر الذي في المحطة كلاهما في الغالب غريبين عن مدينة ورقلة، مما يولد شعورا بالتضامن والشفقة من المتصدق على المتسول، وهذا ما يؤكده كلام أحد المسافرين

(من مدينة سطيف) (أنا جزايري وكان ماعنديش الدراهم نحصل فما بالك هوما مساكن غربة على البلاد، والواحد شاد طريق يمد دافع بلاء خير).

ج_ وسط المدينة: (الكاتشوما)

الكاتشوما مفترق الطرق بني ثور وسط مدينة ورقلة، وهو المكان الذي يقصده سكان المدينة أو زوارها من المدن والولايات الأخرى لما فيه من مرافق عمومية وخاصة حيث الأنشطة النفعية والتجارية (فنادق، مطاعم، محلات الوجبات السريعة، مقاهي، مكتبات، محلات تجارية مختلفة، تجارة الأرصفة)، وهو بالنسبة لبحثنا هذا من أهم الأماكن التي يقصدها مهاجري دول ساحل الصحراء بما فيهم المتسولون منهم.

يشهد وسط المدينة تواجد كثيف لمهاجري دول ساحل الصحراء خاصة طالبي العمل، الذين يصطفون في تجمعات في الطريق المؤدية من وسط المدينة إلى بلدية الرويسات وبالضبط أمام مقر الضمان الاجتماعي، وفي ذات الحين لا يخلو هذا الحيز المجالي من المتسولين وخاصة من فئة الأطفال وبعض النساء، حيث يخبرنا (**أحمد 33 سنة طباخ تونسي**) عامل بأحد محلات الوجبات السريعة (**أغلبية المتسولين هم أطفال صغار لا تتجاوز أعمارهم 12 سنة، وفي الغالب يسيرون مثنى وثلاث ويطلبون الطعام أو النقود أو ألبسة...إلا أنهم يزعجون زبائن المحل بإلحاحهم المستمر في طلب الصدقة، مما يدفعنا أحيانا إلى طردهم مجبرين..**).

من حديثنا مع أحمد ومن ملاحظاتنا الإثنوغرافية، حاولنا الاستفسار عن عدم وجود متسولين من فئة الرجال في وسط المدينة أثناء إجراءنا لمجموعة مقابلات مع بعض المهاجرين، فكان كلام (**محمد 27 سنة من النيجر**) أكثر وضوحا وموضوعية حين قال: (**لا أستطيع التسول أمام أصدقائي وأبناء بلدي المتواجدون هنا بوسط المدينة، سأشعر بالاهانة أمامهم...**)، هنا يمكننا القول أن التسول هو حالة من

حالات الاغتراب، حيث أن رغبة المهاجر المتسول للانتماء إلى جماعته من المهاجرين، وعدم اندماجه ضمن المجتمع المستقبل يوقعه في مستنقع العزلة والاغتراب، مما يجعله غير مبالي بالوصم الذي يخلفه التسول بعيد عن جماعة الانتماء، "حيث يجد المتسول حرية كبيرة في ممارسة التسول بعيدا عن أعين الناظرين والمتطفلين، وبمنأى عن الرقابة الاجتماعية والقبلية والقروية، فيجدون راحتهم في ممارسة التسول دون حواجز نفسية أو رمزية وبدون خجل من الناس فلا زجر ولا ضبط اجتماعي رسمي أو غير رسمي يحاصرهم".[1]

2_3_ الواقع المعيشي للمتسولين الأفارقة في مدينة ورقلة:

في نظر المجتمع المحلي مجال الدراسة لا يوجد اختلاف بين المتسولين، فهم حسبهم كلهم أفارقة، والغالبية ينادونهم ب **الماليين** (من دولة مالي)، لكن من خلال معايشتنا الميدانية تبين لنا أن كل اختلاف بسيط في الخلفية الثقافية أو الاجتماعية أو حتى الهوياتية ينجم عنه اختلاف في تفاصيل الحياة اليومية، وهذا ما لاحظناه من خلال التقصي الأنثروبولوجي الدقيق، حيث تبين أن أغلبية عينة الدراسة هم من مهاجري دولة النيجر، والقلة القليلة تعد على الأصابع هم من مهاجري دولة مالي.

2_3_1_ المتسول الوافد والمجتمع المستقبل: الشأن الاجتماعي ونمط التفاعلات

إن فهم ذهنية أي مجتمع ما تستدعي العيش فيه ومشاركة نشاطه، وهذا ما حصل مع المهاجرين من دول ساحل الصحراء الذين عاشوا في مدينة ورقلة وفهموا ذهنياته، وهذا ما جعلهم يقومون ببعض الطقوس في أثناء التسول جلبا لانتباه أهالي المنطقة، فمن يعيش في المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الورقلي خاصة،

[1] هائل الشميري: ***التسول بصمة كئيبة في جبين المجتمع: دراسة في عوامل وأنماط التسول وآثاره الاجتماعية والتربوية***. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر، 2012، ص 63.

يجد أنهم يميلون إلى كل ما له علاقة بالدين الإسلامي، فيتأثرون بكل المظاهر كالصلاة وغيرها من العبادات المرتبطة بالإسلام.

وهنا نجد أن المهاجرين أدركوا هذه الحقيقة فعمدوا إلى إظهار مظاهر التدين أثناء قيامهم بالتسول للمتصدقين من المجتمع المستقبل لهم كوافدين، أبرز هذه المظاهر تتمثل في: **حمل المسبحة، وسجادة الصلاة، وبيع بعض الكتب الدينية كحصن المسلم، بيع المسواك، وجعل فضاءات المساجد أماكن للتسول**، فالمصلي يخرج من المسجد مع كم هائل من الروحانيات والشعور بالقرب لله مما يجعل استعطافه للصدقة أمر سهل.

تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة في هذا الجانب ألا وهي أن المتسولون وبعض المتصدقين هم وافدون على المجتمع المستقبل (مدينة ورقلة)، حيث يمكننا أنثروبولوجيا اعتبار التواصل بينهما صورة من صور إلتقاء أو تقاطع بين الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية في أحد تفاصيل المعيش اليومي، أما من الناحية الاثنوميتودولوجية فإن الوافد المحلي إلى مدينة ورقلة سواء أكان مهاجرا أو مسافرا يعتبر نفسه مستقبلا لذلك المهاجر الأفريقي، فمن خلال أنماط التفاعل بين المهاجر المتصدق المحلي والمهاجر المتسول الوافد من دول ساحل الصحراء يظهر لنا ما يندرج ضمن ما يعرف بـ **"مفهوم البيئة المرتبطة بالمعنى"** الذي يشير إلى أن "التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع يتضمن معان تدركها عقولهم مباشرة، وهي معان تفوق دلالاتها ومغزاها ما قد تدل عليه إشارة أو كلمة أو عبارة في حديث تبادل بينهم، ومن ثم فإن الإشارات أو الكلمات أو العبارات التي ترسل أو تستقبل أثناء عملية التفاعل بين أعضاء المجتمع يكون لها عدة معان ترتبط بموقف معين أو بيئة أو ظروف معينة".[1]

[1] طاهر حسو الزيباري. (/ / 2010). **الاتجاه الاثنوميتودولوجي أو منهج الجماعة**. تاريخ الاسترداد 14 07، 2020، من انتروبوس:

وهذا ما عايشناه حقليا في ذلك التفاعل الذي حصل بين (**سليم من مدينة المسيلة**) و(علي **متسول من مالي**) حيث حمل كلام سليم في قوله (..**مرحبا بكم عندنا**..) الكثير من المعاني والدلالات التي استمالتنا للبحث في مضمونها، ذلك أن سليم في حد ذاته غريب عن مدينة ورقلة، لكنه ليس لديه ذلك الشعور بالاغتراب أو الضعف بما أنه داخل الحدود الجغرافية للوطن، وتفاعله مع علي صاحبه تغيير في الدور والمكانة، فترحيبه يوحي دلاليا إلى تغير مكانته من وافد إلى مستقبل لذلك المهاجر المالي.

2_3_2_ التسول تحت وطأة الحتمية (كوفيد19):

تقاطع المجال الزماني لدراستنا هذه مع جائحة كوفيد 19 أو ما يعرف ب (جائحة فيروس كورونا)، تلك الجائحة التي سببت أزمة عالمية ألقت بظلالها على كل الدول بما فيها الجزائر، ومدينة ورقلة كانت من بين المدن التي وقعت تحت ظل الأزمة، سواءا من خلال انتشار المرض فيها (ولو بنسبة ضئيلة) أو من خلال الإجراءات الوقائية المتخذة من قبل الدولة كإجراءات الحجر وتقنين الأنشطة التجارية وحركة المواطنين وتنقلهم داخل أو خارج الولاية، بالإضافة إلى الإيقاف المؤقت للعديد من الأنشطة الاقتصادية مثل أشغال البناء والمقاولاتية أو أي نشاط فيه تجمعات بشرية.

هذا التغير في النمط المعهود للحياة اليومية للمدينة صاحبه تغير في الوضع العام للمهاجرين من دول ساحل الصحراء، حيث لاحظنا أن عدد المهاجرين قد قل بصورة كبيرة قد تفوق النصف، فيما تبين معطياتنا الإثنوغرافية أن الظروف المعيشية للمهاجرين قد ساءت كثيرا في ظل الجائحة، فمن كان عاملا في ورشات البناء وواحات النخيل والمزارع .. هو اليوم عاطل عن العمل وبلا مدخول تحت حتمية الأزمة ومرفقاتها. (أنظر: المعيش اليومي في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19))

https://www.aranthropos.com/tag/%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%ab%d9%86%d9%88%d9%85%d9%8a%d8%ab%d9%88%d8%af%d9%88%d9%84%d9%88%d8%ac%d9%8a%d8%a7/

2_3_3_ التنشئة الاجتماعية للأطفال المتسولين:

(ولد الفار يجي حفار) .. مقولة رددها على مسامعنا أحد أبناء ورقلة (صاحب محل لبيع الملابس)، في سياق حديثنا عن أطفال المهاجرين من دول ساحل الصحراء الذين يمارسون التسول، كانت كردة فعل للإلحاح الذي صاحب عملية تسول طفل من النيجر، حيث لم يترك أحدا من الموجودين في المحل إلا وأعطاه بعض القطع النقدية للخلاص من ذلك الإحراج (النفسي) الذي سببه إصراره في طلب الصدقة... إن هذا المثل يحمل في طياته إشارة إلى انتقال التسول كممارسة من الأبوين إلى الأبناء، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية المصاحبة للتفاعل اليومي بين المهاجرين وأبنائهم.

إن ما سبق ذكره كان دافعا لمحاولة البحث في تفاصيل ظاهرة انتقال فعل التسول للأطفال المهاجرين، فكانت لنا مقابلات مع أمهات مهاجرات من دولة النيجر يصطحبن أبناءهن أثناء ممارسة التسول، نذكر منها على سبيل الحصر محتوى مقابلتنا مع **عائشة** :

تخبرنا عائشة 38 سنة أم لثلاثة أطفال (مريم 10 سنوات، موسى 5 سنوات، محمد رضيع) (**جئت مع زوجي وولداي مريم وموسى منذ سنتين، أما محمد فقد كان جنينا في بطني، وقد كانت ظروف المعيشة الصعبة وعدم توفر الغذاء والعمل من دوافع هجرتنا للجزائر.. زوجي يعمل في ورشات البناء أحيانا بأجر يومي، أما أنا وأبنائي فنخرج للتسول والبحث عن الطعام..** لماذا تصحبين الأطفال معك أثناء التسول؟ **لا يمكنني تركهم وحدهم في مكان إقامتنا فهم صغار، ووجودهم يجعل الناس يتصدقون علينا، حتى مريم وموسى يساعدونني في طلب الصدقة من أصحاب المحلات والمارة..** متى وكيف تعلموا التسول وهم صغار؟ **هم معي كل يوم أثناء التسول ويشاهدونني كيف أطلب الطعام أو النقود من المتصدقين، وقد علمتهم بعض الكلمات التي تساعدهم على ذلك، كما أن المتصدقين غالبا ما**

يقدمون الصدقة للأطفال ويتحدثون معهم.. أين مريم وموسى لا أراهما معك؟ **إنهما يتسولان في الشوارع والمطاعم القريبة، فهما يعرفان المنطقة جيدا فلا خوف عليهما..).**

في هذه الحالة تظهر لنا مجموعة مؤشرات ساهمت في تنشئة الطفل المهاجر على ممارسة التسول وهي:

_ أصبحت الحاجة لممارسة التسول من طرف الأسرة المهاجرة عادة ومنتج سوسيو-ثقافي يتم توريثه من خلال نقله للأبناء وتعليمهم على ممارسته.

_ الشارع الورقلي بكل مؤسساته (المطاعم،الأسواق، مفترقات الطرق، الساحات العامة، مداخل المساجد، محطات النقل، المقاهي،...) أصبح هيكلا لتنشئة الأطفال المهاجرين من دول ساحل الصحراء على ممارسة التسول بالإضافة إلى ممارسات أخرى لها سياقها الخاص..

_ العاطفة التي تظهر في فعل التصدق من طرف المتصدقين على الأطفال هي أيضا عامل ساهم في تنشئة الأطفال على ممارسة التسول بحيث ساهمت في تعلم الطفل لطرق استعطاف المتسولين والإلحاح في طلب الصدقة دون شعورهم بالحرج أو استحقار الذات.

... إن حديثنا عن التنشئة الاجتماعية لأطفال المتسولين لا يحاكي زوايا التنشئة على معايير القيم الاجتماعية والتربية الأخلاقية على قدر ما يحاول التصويب على قلب الموضوع العام لدراستنا ألا وهو "التسول"، كممارسة لها أبعادها وتأثيراتها على الطفل من خلال طمسها لأغلب الحقوق الإنسانية، فأطفال المهاجرين من دول ساحل الصحراء الذين يمارسون التسول محرومون من حقهم في التمدرس واللعب والحماية وتوفير الطعام واللباس لهم، فيجدون التسول وفضاءه وبيئته مجالا للعب واللهو وكسب حاجياتهم الأساسية، ويصبح الشارع مدرسة يتعلمون منها سبل وكيفية البقاء، في صراع يومي بين ما يفرضه الواقع المعيش وما تبحث عنه براءة طفل.

3_ المعيش اليومي في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19):

الظروف القاسية التي يعيشها المهاجرون لا تنتهي بانتهاء قساوة مسارات هجرتهم، بل تستمر حتى بعد الوصول إلى مكان الاستقرار، فالمهاجرين هم غرباء وأجانب عن المجتمع المستقبل لهم، وإمكانية التعايش والاستقرار ليست بالأمر السهل، فالرهبة من ذلك الآخر الغريب عنا هي طبيعة بشرية تستدعي تجنب التعامل والحذر، بالإضافة إلى حتمية التخفي عن عيون المصالح الأمنية، التي تمارس واجبها في تطبيق القوانين والمراسيم المتعلقة بآليات دخول الأجانب للجزائر، والتي من بينها إرجاع المهاجرين لموطنهم الأصل، كل هذه النقاط المذكورة هي جزء من الواقع المتأزم الذي يعيشه المهاجرون في هجرتهم، من بداية التنقل من البلد الأصل إلى غاية الوصول والتفاعل مع المجتمع المستقبل.

في ظل كل ما ذكرنا من واقع صعب ومتأزم لفعل الهجرة، وفي الآونة الأخيرة وبالتحديد أواخر سنة 2019 وبداية 2020 يشهد العالم بأسره جائحة عالمية (كوفيد-19)، أو ما عرف في الأوساط الإعلامية بجائحة كورونا التي فرضت على العالم نمط حياة جديد، وأثرت على الجانب الاقتصادي من توقف لمشاريع وأشغال البناء، وتعطل لنقل المسافرين والبضائع حول العالم..، وفرضت ما عرف بمفهوم "التباعد الاجتماعي" بين أفراد العائلة وسكان الحي والمدينة، فقلبت الكثير من المفاهيم والعلاقات الاجتماعية ونقلتها من صورتها الواقعية إلى عالم افتراضي أو رقمي (تواصل رقمي/افتراضي).

بالتأكيد إن مدينة ورقلة المستقبلة لوفود المهاجرين من دول ساحل الصحراء هي أيضا عانت وشهدت الكثير من التغيرات التي أصابت العالم من جراء الجائحة، وفي دراستنا هذه سنحاول التطرق إلى الواقع الأنثروبولوجي لعيش مهاجري دول ساحل الصحراء بمدينة ورقلة في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19)؟

3_1_ تأثير جائحة كوفيد-19 على واقع المعيش اليومي للمهاجرين:

ورقلة، ذلك الكل المركب من تقاطعات الحاجة الإنسانية للبقاء، على اختلاف الاثنيات والأجناس عبر التاريخ، هي بالتأكيد منطقة جذب للمهاجرين، سواءا من داخل الوطن أو من خارجه، وقد شهدت في السنوات الأخيرة توافدا كبيرا للمهاجرين من منطقة دول ساحل الصحراء خاصة من دولتي مالي والنيجر، بغية البحث عن سبل لتحسين الظروف المعيشية، أو كسب لقمة العيش، حيث تحولت مدينة ورقلة من منطقة عبور للمهاجرين نحو الشمال في اتجاههم نحو الهجرة إلى أوروبا، إلى مدينة استقرار ومعيش لهؤلاء المهاجرين.

وبعد أن شهدت مدينة ورقلة كغيرها من مدن العالم جائحة كورونا (كوفيد-19)، ومثلها مثل باقي المدن الجزائرية وقعت تحت إلزامية البروتوكولات الصحية المتخذة من قبل السلطات الجزائرية، زاد تأزم واقع الحياة اليومية للمهاجرين على حد السواء، حيث أدت تلك البروتوكولات والإجراءات الصحية إلى تضييق الخناق على مجال الحركة اليومية والتفاعل ضمن المجال الاجتماعي للمدينة، ناهيك عن التواصل بين المهاجرين والمجتمع المستقبل الذي كان قد تحسن قبل الجائحة إلا أن الجائحة أعادت تلك الصورة السوداء حول المهاجر "الأفريقي" (حامل للأمراض المعدية)، فأصبح التواصل والتفاعل في الفضاءات العامة شبه منعدم، وهذا ما خلق صعوبة في تلبية أبسط الحاجيات اليومية.

مما عايناه ميدانيا حول تأثير جائحة كورونا على معيش المهاجرين من دول ساحل الصحراء، نذكر النقاط التالية:

_ أدى توقف مشاريع البناء الكبرى التي كانت تميز مدينة ورقلة والمناطق المجاورة لها إلى عطالة الكثير من المهاجرين الذين يمثلون غالبية اليد العاملة في هذه المشاريع، وهذا ما نقل صورة المهاجر من عامل إلى عاطل عن العمل.

_ أدت إجراءات الحجر الصحي المفروض على مدينة ورقلة (على غرار باقي المدن الجزائرية) إلى صعوبة تنقل المهاجرين من دول ساحل الصحراء داخل مدينة ورقلة، بالإضافة إلى صعوبة التنقل خارجها من أجل البحث عن أماكن أخرى للعمل من أجل توفير لقمة العيش.

_ إجراءات التباعد الجسدي والتعقيم وارتداء الكمامة هي من الإجراءات التي لم يلتزم بها المهاجرون بسبب نقص الموارد المالية وصعوبة اقتناء مستلزمات البروتوكول الصحي.

_ صعوبة اقتناء المواد الغذائية والمقتنيات الضرورية للمعيش اليومي بسبب الحجر الصحي حتى بالنسبة للمهاجرين الذين لديهم أموال مدخرة، خاصة فئة المهاجرين العاملين بالحقول والمزارع البعيدة عن المدينة، مما يدفع بأصحاب تلك الممتلكات إلى خرق الحجر الصحي من أجل تلبية حاجيات هؤلاء المهاجرين.

_ في ظل الظروف الصعبة التي كان يعاني منها المجتمع الورقلي (المجتمع المستقبل) بسبب الجائحة والإجراءات المتخذة بسببها، نقص دور الجمعيات الخيرية والمجتمع المدني في رعاية المهاجرين، وذلك بسبب صعوبة الإجراءات الصحية والتي تزداد صعوبة مع ازدياد عدد الأفراد والجماعات، بالإضافة إلى الخوف من تفشي المرض في وسط المهاجرين والذين تصعب السيطرة على نمط تنقلهم وحركتهم.

_ زيادة وتنامي ظاهرة تسول المهاجرين من دول ساحل الصحراء بسبب زيادة العاطلين عن العمل وصعوبة توفيرهم لمتطلباتهم المعيشية (سيتم التفصيل فيها في العنصر القادم).

_ إن تدهور المستوى المعيشي للمهاجرين من دول ساحل الصحراء في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19) ساهم في التقليل من عدد المهاجرين في مدينة ورقلة، ذلك أن أعدادا كبيرة منهم عادت إلى بلدها الأصل هروبا وخوفا من الجائحة ومن تأثيراتها على واقعهم المعيش.

3_2_ المهاجر العامل في أزمة:

إن أغلب المهاجرين المستقرين في مدينة ورقلة هم من الشباب حيث تتراوح أعمارهم بين 24 إلى 35 سنة، وهي الفئة التي تمثل الأغلبية العاملة في أغلب القطاعات، البناء والفلاحة والأشغال الشاقة والحراسة، وقد ذهب الباحث "عبد القادر خليفة" إلى أنه "قد أصبح المهاجرون اليوم أساسيين في الاقتصاد المحلي للمدن الصحراوية، بممارسة أنشطة متنوعة: منهم الإسكافيون الذين يتخذون طاولات موزعة في أحياء ووسط المدينة، أما الأنشطة الرئيسية التي نجد فيها غالبية هؤلاء المهاجرين فهي تتركز في قطاع البناء، إذ نجدهم اليوم في أغلب الورشات يعملون بنائين أو مساعدي بنائين، فهم يحسنون تقنيات العمل اليدوية ومستعدون دائما لتقديم كل أنواع الخدمات، أما الأجرة اليومية للعامل فهي تتراوح بين 1200 إلى 1500 دج، لكن أغلبهم يشتغل في ظروف قاسية دون أية تغطية صحية أو اجتماعية... إن معظم مشاريع البناء في المدينة وغيرها لا يمكنها الاستغناء عن هذه الأيدي العاملة الوفيرة وقليلة التكلفة. إن الديناميكية العمرانية التي تشهدها مدن الصحراء الجزائرية تعود في جزء منها لخدمات هؤلاء المهاجرين".[1]

واقع الحياة اليومية للمهاجرين هو واقع متأزم وصعب، وبالرغم من تأزمه فإن فئة المهاجرين العاملين كانوا أقل ضررا وأكثر تعايشا مع واقع حياتهم اليومية من المهاجرين العاطلين عن العمل، وبالرغم من أن المؤشرات التي تظهر على المهاجرين العاملين في قطاع البناء أو الفلاحة أو غيرها من القطاعات التي تحتاج إلى يد عاملة قليلة التكلفة تظهر للعامة على أن واقعهم المعيش إن لم يكن جيدا فهو حسن، وهذا قد يكون صحيحا من الناحية المالية لبعضهم، إلا أن المتوغل لأعماق واقع حياتهم اليومية سيكتشف تلك الظروف

[1] عبد القادر خليفة: ***مهاجرو دول الساحل في مدن الصحراء الجزائرية: من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة – الجزائر)***. (المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية كراسك، المحرر) مجلة انسانيات (69-70)، 2015، ص 53.

الصعبة التي تعيشها هذه الفئة من المهاجرين، فالحاجة إلى مأوى ومكان يحميهم من شدة حرارة المدينة صيفا ومن السرقات، وحتى مكان يخفيهم عن أنظار السلطات الأمنية، يجعلهم بين خيارات عدة أقلها صعوبة هو كراء منازل أو غرف ذات طابع هش، لا تحتوي على أدنى متطلبات الحاجات اليومية (ماء، مرحاض، مبرد، ثلاجة...)، حيث يتم الكراء بصورة مجموعات تتكون من 3 إلى 5 أفراد في الغرفة الواحدة قد يصل ثمن الكراء شهريا إلى 5000 دج أو أكثر للفرد، وآخرون يلجؤون إلى النوم في ورشات العمل أو في حقول الفلاحة أو غابات النخيل تفاديا لدفع ثمن الكراء، ناهيك عن التعرض للسرقة أثناء الغياب عن مكان السكن والتواجد في مكان العمل.

كما ذكرنا سابقا بالنسبة للحالة المالية للمهاجرين العاملين على أساس أنها قد تكون جيدة، إلا أن هذا الحكم منقوص من الناحية الفينومينولوجية، ذلك أن المهاجرين يجدون صعوبة للتصرف في أموالهم، سواءا من حيث صرفها واقتناء حاجياتهم من الطعام أو الألبسة والمستلزمات المنزلية (ثلاجة، تلفاز...الخ) أو خوفا من التعرض للسرقة أثناء الغياب عن مكان الإيواء، أو من ناحية مسؤوليتهم تجاه عائلاتهم في بلدهم الأصل، ذلك أنهم ملزمون بإرسال مبالغ مالية بصفة دورية، وحتى عملية التحويل والإرسال تكون مكلفة جدا، حيث يخبرنا "يوسف 38 سنة من النيجر" (**يتم تحويل الأموال عبر وسطاء ورقلة–تمنراست–النيجر، وكل وسيط يأخذ عمولة عن الأموال المحولة، لهذا أمكث 4 إلى 5 أشهر في ورقلة ثم أعود إلى النيجر، رغم أن تكلفة التنقل باهظة إلا أنها أقل ضررا من التحويل، حيث يبلغ ثمن التنقل من ورقلة إلى تمنراست حوالي 2700 دج، ومن تمنراست إلى طاو حوالي 15000دج**).

هذه الصورة لمعيش المهاجرين العاملين صارت أكثر ضبابية وأكثر بؤسا في ظل جائحة كورونا، بعد أن أصبحوا عاطلين عن العمل في ظل الإجراءات الصحية والحجر الصحي، فقد شهدت أشغال البناء

والأعمال التي تحتاج لأيادي عاملة كثيرة (حقول الفلاحة والزراعة، المستودعات، الأسواق الحرة...) توقف شبه تام، وهذا تفاديا للإصابة بالعدوى وللحد من انتشار فيروس كورونا، وبصورة أخرى كانت تلك الإجراءات الصحية مؤشرا وبداية لتوقف شبه كلي للعجلة الاقتصادية في مدينة ورقلة، مما خلق وضعا مترديا لمعيش المهاجرين أكثر مما كان عليه في الأوضاع العادية (قبل الجائحة).

إن هذا الوضع المتردي لفئة المهاجرين الذين أصبحوا بين ليلة وضحاها عاطلين عن العمل، دفع مجموعة كبيرة منهم للعودة إلى بلدهم الأصل، وفرض على مجموعة أخرى تعتبر قلة قليلة للمكوث والانطواء في المزارع والحقول التي كانوا يعملون بها، لكن هذا المكوث ساهم فيه أرباب العمل، وذلك لأسباب كثيرة منها رد جميل هذه الفئة من المهاجرين العاملين، وكذلك من باب الإنسانية والأمل في زوال الجائحة في فترة قصيرة، إلا أن هذا الوضع كان سببا في تغيير وجهة مجموعة أخرى من المهاجرين إلى ممارسة التسول لتوفير أدنى متطلبات المعيش اليومي، ولو أن ظاهرة التسول لم تصبح ذات مورد مالي ومعيشي كبير كما كانت عليه قبل الجائحة.

كانت هذه الظروف سببا في ارتفاع عدد المتسولين من مهاجري دول ساحل الصحراء، وان كان الكثير منهم يمارس التسول على مضض، حيث يخبرنا (**إبراهيم 39 سنة من مالي**) (**كنت أعمل في ورشة بناء براتب يومي يقدر بـ 1400 دج، أما الآن فأنا أتسول مكرها لأعيل عائلتي، وللضرورة فقط لأنه في بعض الأحيان يتم استدعاؤنا للعمل في أحد مساكن المدينة سواءا للتصليح أو البناء.. فأتوقف عن التسول**)، يبرز لنا من حديث إبراهيم والكثير ممن قابلناهم أن ارتفاع عدد المتسولين هو ارتفاع مؤقت وله دوافع وأسباب مرتبطة بمخلفات أزمة فيروس كورونا على المجال العام لمدينة ورقلة.

3_3_ التسول: مهرب / أم مكسب من الأزمة؟:

ظاهرة تسول مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة ظاهرة معروفة وواضحة ومشاهدة بصفة يومية، إلا أن مخلفات جائحة كورونا على الواقع المعيشي للمهاجرين ساهمت في ارتفاع أعداد المتسولين، وذلك كما قلنا سابقا راجع إلى توقف الكثير من مجالات العمل التي كانت تستقطب اليد العاملة من هؤلاء المهاجرين.

في ظل تأزم الوضع الصحي والمعيشي وشدة الإجراءات المتخذة للحد من انتشار فيروس كورونا، ورغم صعوبة إجراء مقابلات ميدانية في مثل هكذا وضع، إلا أننا قمنا بمجموعة خرجات ميدانية جمعت بين أداتي الملاحظة والمقابلة، ومما لامسناه ميدانيا أن التسول كفعل وسلوك فردي وجماعي هو وسيلة للعيش والبقاء، وخلافا عن كونه ممارسة عادية للكثير من المهاجرين من دول ساحل الصحراء خاصة فئة النساء والأطفال (بسبب عدم قدرتهم عن العمل)، فالتسول كان **مهربا** للمهاجرين الذين كانوا يزاولون أعمالا يدوية أو حرفية أو تجارية، فأصبحوا تحت وطأة حتمية التسول في ظل مخلفات الجائحة، وعلى حسب اختلاف درجة التأثر بهذا الوضع المستجد كانت درجات التنازل عن مبدأ عدم التسول، فيخبرنا (**موسى 39 سنة من النيجر**) (**كنت أعمل في مجل البناء، وكنت أحصل مبالغ مالية جيدة، وكنت منذ قدومي للجزائر أرفض فكرة التسول، وحتى بعد توقف الأشغال وأصبحت عاطلا فقد بقيت مصرا على موقفي، إلا أن مدة البطالة طالت وما كنت أدخره من أموال أنفقه على متطلباتنا اليومية، واليوم أنا أتسول مكرها لأوفر لقمة عيش لي وعائلتي**).

وقع تغير في الفعل الممارس من طرف مهاجري دول ساحل الصحراء، فمن كان بالأمس القريب عاملا هو في ظل الجائحة متسول، إلا أن هذا الفعل أو الممارسة (التسول) استمر حتى بعد استقرار الوضع العام

لمدينة ورقلة، وبالرغم من عودة الظروف العادية للحياة اليومية في المدينة وعودة الأنشطة والأعمال بمختلف أشكالها وأنواعها، إلا أن عددا ليس بالقليل من مهاجري دول ساحل الصحراء استمروا في ممارسة التسول والاعتماد عليه كمصدر للمعيش، فبعد أن كان اللجوء إلى التسول كمنفذ أو مهرب من الأزمة وتحت حتمية وإلزامية الصراع من أجل البقاء، تأقلم هؤلاء المهاجرون على هذا النمط المعيشي الذي يوفر لهم مردودا ماليا جيد دون عناء أو تعب (قد يتجاوز مردود العمل بأضعاف)، وقد صار التسول بعد عودة الوضع العادي للحياة اليومية **مكسبا** لهؤلاء المهاجرين، وهذا المكسب المعياري للمهاجرين من ممارسة التسول نقل الأزمة إلى أصحاب مشاريع البناء وأصحاب الحقول والمستودعات، وذلك بسبب رفض هذه الفئة العودة إلى مزاولة أعمالهم المعتادة بعد أن تأقلموا كما قلنا مع ممارستهم للتسول، حيث يخبرنا (عبد القادر 40 سنة) صاحب مشاريع بناء بمدينة ورقلة (**قبل كورونا عانين بزاف كي كانوا يهزوا في المهاجرين يرجعوا فيهم لبلادهم، وفي كورونا حبست الخدمة بسبب الحجر الصحي، واليوم ولينا نحاولو في المهاجرين باه يرجعوا يخدمو، لخاطر نعانو من نقص كبير تا ع خدامة، كاين اللي رجعوا لبلادهم، وكاين اللي راح مدينة أخرى، وآخرين والفو (ألفو) الطلبة (التسول)، وحتى الكعبات اللي راهم يخدمو زدنالهم في الجوري باه يقعدوا...**).

3_4_ الانطواء والتخفي: بروتوكول صحي أم إحتراز أمني؟:

كما كان لجائحة كورونا والإجراءات والتدابير الصحية والأمنية التي اتخذتها السلطات الجزائرية تأثير كبير على الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمدينة ورقلة، فإن الفضاءات العمومية للمدينة تأثرت هي أيضا بشكل واضح، حيث يظهر جليا تراجع ونقص صور الاحتكاك بين الفاعلين الإجتماعيين في الفضاءات العامة،

سواءا بين السكان المحليين أو الوافدين إلى مدينة ورقلة من مسافرين أو مهاجرين (هجرة داخلية أو خارجية).

إن السياسة العامة للمهاجرين من دول ساحل الصحراء في التعامل مع الوسط أو الفضاء الاجتماعي والمجالي لمنطقة الاستقبال هي في الأساس الأول سياسة أمنية تعتمد على الاحتراز، حيث ينتهج المهاجرون أسلوب التخفي عن عيون المصالح الأمنية، وتجنب كثرة التفاعل مع السكان المحليين، أو الظهور العلني في الأماكن التي قد تجعلهم عرضة لخطر الاعتداء أو السرقة، لذلك تجد الوافدون الجدد من المهاجرين لمناطق الاستقبال أو الاستقرار يلجؤون إلى التخفي من باب الحيطة والحذر وتأمين الذات، لكن هذا لا ينفي أن للفضاءات العامة في مدينة ورقلة قبل الجائحة دورا هاما في الحياة اليومية للمهاجرين من دول ساحل الصحراء، حيث كانت فضاءات لممارسة التسول أو لعب أطفال المهاجرين، بالإضافة إلى أنها كانت مكان لتجمع طالبي العمل منهم، حيث ينتظرون من يحتاج لأيادي عاملة في مختلف القطاعات.

ذلك الاحتراز الأمني أو تلك الصور من التفاعل داخل إطار الفضاءات العامة لمدينة ورقلة تأثرت بجائحة كورونا، ذلك أن التخفي عن الأنظار كسياسة أمنية أصبح انطواء أو إجراء من إجراءات البروتوكول الصحي مارسه بعض المهاجرين برغبة وعن قناعة، ومارسه آخرون بسبب الإجراءات المشددة التي فرضها الحجر والبروتوكول الصحي المفروض على كل ساكنة مدينة ورقلة، بالإضافة إلى أن تلك الفضاءات العامة التي كانت ممتلئة أصبحت شبه خالية من أشكال التفاعل اليومي، فالخوف من الإصابة بفيروس كورونا القاتل ساهم في تجنب سكان المدينة للتواصل الجسدي مع بعضهم البعض، وبما في ذلك التواصل مع المهاجرين، خاصة أن الجائحة أعادت تلك النظرة السوداوية وذلك الحكم على المهاجرين على أساس أنهم ناقلين للأمراض والفيروسات (أحكام مسبقة وشعبوية)، وكل هذا ساهم في انطواء المهاجرين وتجنبهم للتواصل أو التفاعل مع المجتمع المستقبل.

4_ المجتمع المستقبل ودوره في معيش المهاجرين

4_1_ دور الجمعيات الخيرية:

يكمن دور الجمعيات الخيرية في الدور الذي تقوم به مؤسسة الهلال الأحمر، وذلك عن طريق الاعتناء بفئة المهاجرين أثناء عمليات الترحيل الجماعي الذي تقوم به السلطات الجزائرية بين الفينة والأخرى، وكذلك تقديم المساعدات الطبية لحالات المرضى من المهاجرين، والنساء الحوامل والأطفال وكبار السن، مساعدات تقدم في إطارها الإنساني تعكس صورة إيجابية حول التعاملات الإنسانية للجمعيات والمؤسسات الخيرية التي تعمل تحت لواء السلطة الجزائرية، لتنافي تلك الادعاءات الخارجية حول سوء تعامل السلطات الجزائرية مع المهاجرين الوافدين من دول ساحل الصحراء.

تختصر رئيسة منظمة الهلال الأحمر السيدة "سعيدة بن حبيلس" تلك المواقف والمساعدات في ما قالته في المقابلة المنشورة على موقع أصوات مغاربية "**المهاجرين ضيوف الجزائر**"[1]، كإشارة منها إلى أن الدور الذي يقوم به الهلال الأحمر مع المهاجرين هو واجب قيمي وإنساني في المقام الأول، حيث تضيف "بن حبيلس" "**رسالتنا عوانها ليس مهما ما تقدمه لهؤلاء، لكن المهم كيف تقدم ذلك، ودورنا لا يتوقف عند توزيع المساعدات، بل نريد نشر ثقافة التضامن والتشبع بالقيم الإنسانية**"[2]،وهو ما يؤكده الاهتمام

[1] أصوات مغاربية: ***المهاجرون الأفارقة بالجزائر..بن حبيلس: هم ضيوفنا***، مقال منشور على موقع أصوات مغاربية، بتاريخ: 2017/07/10، تاريخ الاطلاع: 2023/01/23.
https://www.maghrebvoices.com/2017/07/10/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AC%D8%B1%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%AD%D8%A8%D9%8A%D9%84%D8%B3-%D9%87%D9%85-%D8%B6%D9%8A%D9%88%D9%81%D9%86%D8%A7

[2] المرجع نفسه.

بالمرضى والعجائز والنساء الحوامل من مهاجري دول ساحل الصحراء وتقديم المساعدات الطبية والغذائية لهم، كما يقوم الهلال الأحمر الجزائري بتقديم الألبسة والألعاب في المناسبات لأطفال المهاجرين.

4_2_ المعروف/ الصدقة/الكرم..موائد للمهاجرين:

على غرار ما تطرقنا إليه في عنصر اللباس والهجرة في الفصل الرابع من تقديم عمي حسين لمساعدات تمثلت في ألبسة، فإن الكثير من سكان مدينة ورقلة يقومون بتقديم الأطعمة والألبسة لمهاجري دول ساحل الصحراء، خاصة في المناسبات والأعياد وفي شهر رمضان (شهر الرحمة)، بالإضافة إلى العادة الاجتماعية المعروفة في منطقة ورقلة باسم "المعروف"، وهو طهو الطعام وتوزيعه على الجيران والمحتاجين وعابري السبيل، وللمهاجرين من دول ساحل الصحراء نصيب من هذا "المعروف"، الذي في الغالب يكون يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث يقوم صاحب المعروف بنقل الطعام إلى أماكن تواجد أو سكن هؤلاء المهاجرين ويقدم لهم الطعام، وفي بعض الأحيان يصاحب الطعام ألبسة مستعملة تقدم لهم.

يحدثنا (بشير 29سنة من النيجر) (صاحب الورشة الذي أعمل معه كريم معي، فأنا أعمل عنده براتب شهري، وحتى طعامي من عنده، وكل فترة يجلب لي ألبسة وأحذية، مليح معايا...)، وهذا نمط آخر من المساعدات المقدمة للمهاجرين من دول ساحل الصحراء المتمثل في الكرم، فبالرغم من أن بعض العاملين في الورشات والمستودعات أو الحقول يتقاضون أجرة يومية أو شهرية، إلا أن أصحاب العمل يكرمونهم بالأطعمة والألبسة، وحتى في بعض المناسبات والأفراح يتم تذكر هذه الفئة (المهاجرين).

وفي جانب آخر من موضوعنا هذا، فإن الصدقة التي يقدمها سكان مدينة ورقلة للمتسولين من مهاجري دول ساحل الصحراء، هي نوع آخر من المساعدات، فالصدقات تتنوع بين أموال وأطعمة وألبسة، وهي تعمل على تحسين الظروف المعيشية لهذه الفئة من المهاجرين، ومن منظور أنثروبولوجي فإن

الصدقة المقدمة للمهاجر أضافت على تلك الرمزية الدينية قيمة اجتماعية، وهذا مؤشر آخر على كون مدينة ورقلة هي مدينة جاذبة للهجرة بامتياز، فهي مدينة التي وفرت للمهاجر مجالات للعمل ومجالات للتسول ومجالات للاحتكاك والتواصل الاجتماعي.

قد يختلف نمط المساعدات المقدمة للمهاجرين أو تسمياتها، لكن الثابت والشاهد على دور المجتمع المستقبل في معيش هؤلاء المهاجرين هو تلك التفاعلات اليومية التي عايشناها وخبرناها في دراستنا لواقع معيش المهاجرين من دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، فأموال الصدقة أو كرم الضيافة أو أطعمة المعروف كلها تعمل على مد يد العون لذلك الآخر المحتاج والباحث عن سبل للعيش أو تحسين الظروف المعيشية له ولأسرته وأطفاله.

خلاصـــــة:

اختلفت موارد معيش مهاجري دول ساحل الصحراء باختلاف المؤهلات وباختلاف الحاجة والغاية التي يصبون لها، فكان التوجه للعمل على أنواعه وجهة المهاجرين الذين يمتلكون خبرة في أحد مجالات العمل، والمهاجرين الذين فضلوا العمل على التسول رغم ظروفهم الصعبة، وكان التسول وجهة الفئة الهشة التي تمثلت في النساء والأطفال وبعض الرجال الذين يفتقدون القدرة على العمل، وفي جانب آخر كان التسول مكسبا من أزمة جائحة كورونا لبعض المهاجرين الذين كانوا عاملين بأجور زهيدة قبل الجائحة، بعد أن كان مهربا من واقع البطالة الحتمية التي فرضتها الظروف المصاحبة للأزمة، وإضافة إلى هذه الموارد كان للمجتمع الورقلي دورا في معيش هؤلاء المهاجرين من خلال ما تقدمه الجمعيات الخيرية أو سكان المدينة من أطعمة وألبسة وأدوية.

نتائج الدراسة

عرض النتائج العامة للدراسة:

سعت هذه الدراسة المتواضعة للوصول إلى مجموعة نتائج تعطي الصورة العلمية والأكاديمية لواقع يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، من خلال استنطاق الميدان وتحليل مجمل المعطيات الإثنوغرافية التي تحصلنا عليها، وفي ما يلي سنحاول التفصيل في هذه النتائج:

نتائج الفصل الثاني:

ـ إن ما تشهده منطقة ساحل الصحراء من تدهور في الوضع الأمني وعدم استقرار، هو من أبرز العوامل الدافعة للهجرة.

ـ تختلف الدوافع الاقتصادية للهجرة بين المهاجرين من دولة مالي والمهاجرين من دولة النيجر، بين تحسين للمستوى المعيشي للفئة الأولى، وبين البحث عن لقمة العيش للفئة الثانية.

ـ إن كل هذه الخصائص التاريخية والجغرافية لمدينة ورقلة جعلت منها منطقة جاذبة للهجرة الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى أنها تعتبر ملتقى لأغلب مسارات الهجرة والتجارة بين الشمال والصحراء الكبرى، وهذا ما أدى إلى تشكل خليط إثني لساكنة المدينة والمهاجرين إليها.

ـ ساهمت التركيبات الاجتماعية المشكلة للمجتمع الورقلي والتي تتسم بخصوصيات سوسيو-ثقافية تمظهرت على الحيز العمراني والمجالي، في ضبط فضاءات التفاعل اليومي للمهاجرين داخل مدينة ورقلة، حيث لاحظنا من خلال الخرجات الميدانية أن هناك مناطق تشهد تواجد كبير ومكثف للمهاجرين ومناطق أخرى على النقيض من ذلك.

ـ إن الواقع الاجتماعي لمدينة ورقلة كان له دور في تحديد وضبط آليات تفاعل مهاجري دول ساحل الصحراء ضمن فضاءاتها، خاصة من خلال خصوصية كل تركيبة من التركيبات الاجتماعية المشكلة للمدينة.

ـ التفاعل بين المهاجرين والوافدون لمدينة ورقلة يمثل النسبة الأكبر من صور التفاعل العام داخل الفضاء العمومي في مدينة ورقلة.

نتائج الفصل الثالث:

ـ الهجرة تمرد للحق التاريخي على الواقع السياسي من خلال اتباع مسارات الهجرة القديمة وعدم تقبل الحدود الجيو-سياسية للدول.

ـ ادعاء المهاجرين من دولة النيجر بأنهم من مالي، هو السبب الرئيس في التسمية المحلية للمهاجرين بالماليين.

ـ الهجرة هي براكسيس يعبر عن ثورة جماعية ضد الواقع المعاش في البلد الأصل.

ـ الهجرة هي طقس عبور بالنسبة لفئة المهاجرين الأقل من 18 سنة.

نتائج الفصل الرابع:

ـ أبرز آليات الانتظام والتساكن لدى مهاجري دول ساحل الصحراء تعود إلى الانتماء القبلي ثم الوطني، المهاجرين من منطقة واحدة يقيمون معا في نفس المكان.

_ آليات السكن والمأوى وآليات الإنتظام الجماعي في العمل والأسواق هي مؤشرات لوجود ارتباط اجتماعي تعبر عن وجود قرابة دموية أو قبلية أو وطنية.

_ مناطق السكن التي يقصدها المهاجرون هي في الحقيقة أحياء يمكن أن نقول عنها أنها هامشية أو بعيدة عن الواجهة العامة، حيث تعطي نوعا من العزلة والعيش في مناطق الظل بعيدا عن أعين رجال الأمن.

_ ظاهرة الهجرة ساهمت في ظهور البناءات الفوضوية، وانتشار ظاهرة الاستيلاء على الأراضي دون وجه حق (المرأة التي بنت سكنات في حي الزاوية 02 وتقوم بكراءها للمهاجرين).

_ مناطق السكن التي يقصدها المهاجرون هي في الحقيقة أحياء يمكن أن نقول عنها أنها هامشية أو بعيدة عن الواجهة العامة، حيث تعطي نوعا من العزلة والعيش في مناطق الظل بعيدا عن أعين رجال الأمن.

_ تلعب الفضاءات العامة في مدينة ورقلة دورا رئيسيا في يوميات مهاجري دول ساحل الصحراء، فهي فضاءات للعب الأطفال وراحة النساء وتلاقي الرجال، وهي أيضا فضاءات للمعيش.

_ يعتبر الفضاء المسجدي من أهم الفضاءات التي تشهد احتكاكا وتفاعل بين المهاجر الوافد والمجتمع المستقبل.

_ السوق كفضاء عام للتفاعلات اليومية لمهاجري دول ساحل الصحراء يشهد نمطين من التفاعلات، تفاعل تجاري يكون فيه المهاجر إما بائع أو مشتري، وتفاعل ماص يكون فيه المهاجر متسول في السوق.

_ إن العملية التواصلية بين مهاجري دول ساحل الصحراء، سواء الوافدين من دولة النيجر أو دولة مالي، لا تقتصر على مظاهر التواصل في منطقة الاستقبال (ورقلة)، بل تتعداه إلى وجود تواصل قبلي وبعدي

(قبل الهجرة وبعدها) مع البلد الأصل، ولعل آليات الانتظام والتساكن والعمل من أكبر المؤشرات الإثنوغرافية الدالة على هذا النمط من التواصل.

ـ الواقع الأنثروبولوجي لمهاجري دول ساحل الصحراء يوحي بالهوية الدينية من خلال نمط اللباس ولغة التواصل والتردد على المساجد ووو..

ـ يمارس المهاجرون طقوسهم الدينية بصورة عادية في المجتمع المستقبل.

ـ يلعب الدين دورا هاما في الحياة اليومية للمهاجرين، فهو عنصر مشكل للهوية التشاركية بين الوافد والمستقبل، وكذلك ملتقى للعملية التواصلية أثناء التفاعل في الفضاءات والمجالات العامة للمدينة.

ـ تلعب اللغة كعنصر ثقافي دورا هاما في الحياة اليومية لمهاجري دول ساحل الصحراء، وهي شكل من أشكال الحفاظ على الهوية الثقافية.

ـ المبحوثين من المهاجرين الذين تعلموا اللغة العربية سهلوا على الباحث عملية التواصل معهم.

ـ ساعد تعلم اللغة العربية المهاجرين في الاندماج والتفاعل مع المجتمع المستقبل.

ـ يستخدم مهاجري دول ساحل الصحراء اللباس كأداة لتسويق الواقع الاجتماعي والمعيشي خاصة فئة المتسولين منهم.

ـ باستثناء الاحتفالات والمناسبات الدينية لباس المهاجرين هو في الغالب ما تصدق به سكان المجتمع المستقبل.

ـ يعتبر اللباس التقليدي الذي يرتديه المهاجرون في المناسبات، والأطعمة التي يطبخونها من أهم صور الحفاظ على العادات والتقاليد.

_ لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا هاما في مسألة الحفاظ على العادات والتقاليد عند مهاجري دول ساحل الصحراء.

_ تمثلت إشكالية الهوية عند المهاجرين من دول ساحل الصحراء في المحافظة عليها في لواقع الاجتماعي والثقافي، والتنازل على بعض سماتها تحت وطأة الواقع المعيش وإلزامية التعايش مع الآخر المستقبل.

نتائج الفصل الخامس:

_ تعتبر أعمال البناء من أهم مجالات العمل التي يقصدها المهاجرون.

_ الحاجة لليد العاملة من المهاجرين الأفارقة دفعت بالسلطات إلى غض الطرف عن مشروعية تواجدهم في مدينة ورقلة.

_ العمال المهاجرين من دولة مالي أكثر خبرة وكفاءة من العمال المهاجرين من دولة النيجر.

_ يلجأ المهاجرون إلى العمل في مجال البناء والفلاحة لعدم حاجة هذه الأعمال إلى شهادات أو كفاءة مهنية خاصة.

_ المزارع والواحات هي أماكن عمل وسكن للمهاجرين.

_ يقصد المهاجرون الذين يتقنون حرفة أو نشاط يدوي للعمل في الورشات.

_ تمثل تجارة الأرصفة التي يمارسها بعض مهاجري دول ساحل الصحراء صورة من صور الاندماج مع المجتمع الورقلي.

_ المجال الاجتماعي الذي وجده المهاجرون في مدينة ورقلة سمح لهم بخلق حيز مكاني لممارسة تجارة الأرصفة وبسط طاولات سلعهم.

_ اليد العاملة المهاجرة من دول ساحل الصحراء من أهم الموارد البشرية المساهمة في عملية التنمية التي تعيشها مدينة ورقلة.

_ العمالة المهاجرة من دول ساحل الصحراء هي مقصد للكثير من سكان مدينة ورقلة في أشغال البناء والحراسة والفلاحة..

_ اليد العاملة من المهاجرين هي سد الفراغ الذي تعاني منه المدينة في نقص اليد العاملة المحلية سواءا من أبناء المدينة أو من الوافدين من مدن الوطن.

_ اغلب فئات المتسولين من النساء والأطفال.

_ الرجال المتسولون يعمدون إلى لغة الإشارة أثناء التسول مع تجنب الحديث غالبا..

_ ازدياد عدد المتسولون الرجال في ظل جائحة كوفيد 19 بسبب تأثر سوق العمل وشبه توقف تام لمشاريع البناء التي كانت قبلة عمل المهاجرين.

_غالبية المتسولين ممن هاجروا مع أسرهم وتحت حتمية عدم توفر العمل للرجل أصبحت كل الاسرة تمارس فعل التسول...

_ الحاجة الماسة لتوفير أدنى شروط المعيشة كانت دافع للمهاجرين من دول الساحل الى تعلم لغة المجتمع المستقبل (ورقلة) ... خاصة المفردات المطلوبة في ممارسة التسول من باب (صدقة/صدكة، اعطيني نشري خبز، معروف ربي، اشريلي كسكروط،...).

ـ يعمد المتسولون من مهاجري دول الساحل إلى استعطاف المتصدقين من خلال استخدام مظاهر الدين وعبارات توحي بتدين المتسولين، من قبيل حمل السبحة والسجادة، وبيع كتب دينية مثل حصن المسلم، والسواك، بالإضافة إلى جعل مداخل المساجد فضاءات للتسول واستعطاف المصلين.. وذلك لمعرفتهم لقيمة الصدقة في حياة المسلم.

ـ بعض المتسولين مداخيلهم اليومية جد مرتفعة تصل إلى قرابة مليون سنتيم يوميا، بتعبير آخر أصبح التسول بالنسبة لهم أفضل من العمل، وهنا وقعت مقايضة صورة الذات بالمال، بمعنى لا يهم المهاجر صورته عند الآخر مادام ممارسة التسول تعود عليه بمدخول أفضل من مدخول العمل، وان كان العمل قيميا يعطي وزنا لصاحبه.

ـ التسول باستخدام الإشارة أو لغة الجسد بالنسبة لمهاجري دول الساحل خاصة الرجال منهم يساعدهم على تجاوز ذاك الشعور بالدونية المرافق لوصمة التسول.

ـ بين المتسول الوافد والمتصدق الوافد تعتبر محطة نقل المسافرين نقطة من نقاط تقاطع الهجرة الخارجية والهجرة الداخلية.

ـ أصبحت الحاجة لممارسة التسول من طرف الأسرة المهاجرة عادة ومنتج سوسيو-ثقافي يتم توريثه من خلال نقله للأبناء وتعليمهم على ممارسته.

ـ الشارع الورقلي بكل مؤسساته (المطاعم،الأسواق، مفترقات الطرق، الساحات العامة، مداخل المساجد، محطات النقل، المقاهي،...) أصبح هيكلا لتنشئة الأطفال المهاجرين من دول ساحل الصحراء على ممارسة التسول بالإضافة إلى ممارسات أخرى لها سياقها الخاص..

ـ العاطفة التي تظهر في فعل التصدق من طرف المتصدقين على الأطفال هي أيضا عامل ساهم في تنشئة الأطفال على ممارسة التسول بحيث ساهمت في تعلم الطفل لطرق استعطاف المتسولين والإلحاح في طلب الصدقة دون شعورهم بالحرج أو استحقار الذات.

ـ تأثر معيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة بجائحة كورونا (كوفيد-19)، مما ساهم في عودة الكثير منهم إلى بلدانهم.

ـ توقف مشاريع البناء والأعمال التي تحتاج إلى أيادي عاملة بسبب الجائحة أدى إلى عطالة المهاجرين العاملين في هذه القطاعات.

ـ الواقع الأنثروبولوجي لظاهرة التسول في فترة الجائحة يختلف عما كان قبلها، فالكثير من المهاجرين الذين كانوا يرفضون التسول قبل الجائحة أصبحوا تحت حتمية الواقع المعيش متسولين.

ـ التسول كان مهربا للكثير في ظل الجائحة، لكنه أصبح مكسبا بعد الجائحة بسبب الفرق الهائل بين عائدات التسول وعائدات العمل.

ـ التخفي عن الأنظار كسياسة أمنية أصبح انطواء أو إجراء من إجراءات البروتوكول الصحي مارسه بعض المهاجرين برغبة وعن قناعة، ومارسه آخرون بسبب الإجراءات المشددة التي فرضها الحجر والبروتوكول الصحي المفروض على كل ساكنة مدينة ورقلة.

ـ يتجلى دور المجتمع المستقبل في معيش مهاجري دول ساحل الصحراء في دور الهلال الأحمر وما يقوم به من اعانات معاشية وخدمات صحية، وما يقدمه المجتمع الورقلي من صدقات وأطعمة وألبسة.

خاتـــــــمة

خاتـــــــــــــــمة:

جاءت هذه الدراسة لتفتح مجال البحث العلمي والأكاديمي في موضوع الهجرة والمعيش اليومي للمهاجرين الوافدين من دول ساحل الصحراء إلى مدينة ورقلة، لتبتعد عن القراءات الشعبوية أو الصحفية، التي لطالما وصمت الهجرة والمهاجر بوصمات سلبية، وهي من الدراسات التي زاوجت بين تخصصين في الأنثروبولوجيا، أنثروبولوجيا الهجرة وأنثروبولوجيا الحياة اليومية، انطلاقا من تمشي منهجي كيفي اختلفت فيه المناهج والأساليب المستخدمة في حصر وتحليل المعطيات الإثنوغرافية.

عالجت دراستنا يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة بمقاربة أنثروبولوجية، وذلك من خلال 3 ثلاث محاور رئيسية من وحي الميدان، حيث عالجنا في المحور الأول منه ظاهرة الهجرة والمؤشرات السوسيو–تاريخية لعوامل الدفع والجذب بين دول ساحل الصحراء والصحراء الجزائرية بصفة عامة ومدينة ورقلة بصفة خاصة، حيث أوضحت الدراسة في هذا المحور أن فعل الهجرة هو في الأساس انتقال له بعد تاريخي متواصل عن طريق توارث للفعل الاجتماعي المتمثل في الانتقال ضمن الحيز الجغرافي للصحراء الكبرى، سواءا كان هذا الانتقال لغاية التجارة أو البحث عن العمل أو الارتحال والبحث عن مواطن للاستيطان وتحسين ظروف المعيشة، كما أشرنا إلى القوانين والمراسيم التي تضبط حركة التنقل بين الدول مما جعلها تصبح عائقا أمام حركة التنقل التي تشهدها المنطقة، وهذا ما أتبع فعل الهجرة بتوصيفات قانونية وسياسية من قبيل (هجرة غير شرعية، هجرة غير نظامية، حرقة..).

كما خلصت الدراسة في هذا المحور إلى أن هجرة مواطني دول ساحل الصحراء هي براكسيس يعبر عن انتفاضة ضد تاريخانية الواقع المعيش في البلد الأصل يهدف إلى تغيير واقع اجتماعي من خلال التنقل إلى دول أخرى قد تفتح الآفاق لتحسين الظروف المعيشية، إضافة إلى ذلك فقد ظهر عنصر آخر ساهم في

فعل الهجرة بعيد عن عوامل الطرد والجذب، ألا وهو كون الهجرة في حد ذاتها **طقس عبور** من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة ومرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والنضج.

أما في المحور الثاني الذي تناولت فيه الدراسة يوميات مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، فقد خلصت الدراسة إلى أن المهاجرين شكلوا واقعا اجتماعيا من خلال خلق نسق وآليات للسكن والانتظام في جماعات العمل، إضافة إلى التفاعل اليومي داخل الفضاءات العامة في مدينة ورقلة والتي من أهمها المساجد والأسواق وأحياء المدينة، وأبرز الواقع الثقافي دور الدين واللغة في عمليات التواصل والاندماج بين المهاجر الوافد والمجتمع المستقبل، ودلالات التثاقف أو الانكفاء التي مست عنصر اللباس والعادات والتقاليد.

المحور الأخير من الدراسة تناول جانب معيش المهاجرين داخل مدينة ورقلة، حيث بينت الدراسة أهم مؤشرات المعيش المتمثل في العمل والتسول ودور المجتمع المستقبل، وقد أوضحت الدراسة إيجابية عمل المهاجرين في مدينة ورقلة من خلال المجالات التي يشتغلون بها، ودورهم في عملية التنمية التي تشهدها المدينة، وسلبية ظاهرة التسول التي عرفت انتشارا كبيرا في الآونة الأخيرة بالمدينة، كما عالجت الدراسة معيش المهاجرين في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19) وتأثير الجائحة على المعيش اليومي للمهاجرين، وفي ختام هذا المحور خلصت الدراسة إلى دور المجتمع المستقبل والجمعيات في الاهتمام بالمهاجرين خاصة الفئات التي تعاني ظروف مالية وصحية صعبة.

من خلال ما سبق طرحه ومعالجته في هذه الدراسة يمكننا القول أن موضوع دراسة يوميات ومعيش مهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة، يبقى من الموضوعات الديناميكية والمتغيرة والقابلة للدراسة على المدى الطويل، ذلك أن فعل الهجرة يخضع لتغييرات كرونولوجية تتأثر بمجموعة أحداث سياسية

وجغرافية واقتصادية، وهذا ينطبق على الممارسين لهذا الفعل (المهاجرين)، ناهيك عن الديناميكية التي تعرفها مجتمعات الاستقبال والتغيرات التي تشهدها من عمليات تنمية أو تغيرات اجتماعية تمس التركيبات الاجتماعية المشكلة للنسق العام للمجتمع، وفي الجانب الآخر لا يمكن حصر المعيش اليومي بين دفتي دراسة مهما كانت.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القـــواميس والمعاجـــم :**

1. بيار بونت وميشال ايزار وآخرون: **معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، تر: د. مصباح الصمد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت– لبنان، 2011.إحسان محمد الحسان: **الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، لبنان،1987 .
2. شارلوت سيمور – سميث: **موسوعة علم الإنسان – المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية**، تر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع باشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ع 2/61، ط2، 2009.

- **المراجع باللغة العربية :**

3. احسان محمد الحسان: **النظريات الاجتماعية المتقدمة**، ط3، دار وائل للنشر، 2015.
4. أحمد علي سليمان، أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1997.
5. إدموند هوسرل: **فكرة الفينومينولوجيا**، تر: د. فتحي إنقزو، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، آب (أغسطس) 2007.
6. أنطوان خوري: **مدخل إلى الفلسفة الظاهرياتية**، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، سنة 2008.

7. إيف وينكن: **أنثروبولوجيا التواصل: من النظرية إلى ميدان البحث**، تر: خالد عمراني، ط1، المنامة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2018.

8. بدوي عبد الرحمان: **مناهج البحث العلمي**، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.

9. جيامبيترو جوبو: **اجراء البحث الاثنوجرافي**، تر: محمد رشدي، مراجعة: أحمد زايد، ط1، المركز القومي للترجمة، مصر، 2014.

10. رضوان شافو : **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا** ، دار المحابر، الجزائر، ط1 ، 2015.

11. زينب شاهين: **الاثنوميتودولوجيا رؤية جديدة لدراسة المجتمع**، مركز التنمية البشرية والمعلومات للطباعة والنشر، 1987.

12. ستيفاني بيزارد، مايكل شوركين: **تحقيق السلم في شمال مالي، الاتفاقيات السابقة والنزاعات المحلية وآفاق التسوية الدائمة**، مكتب الشؤون الإفريقية للنشر، 2015.

13. ستيفن كاستلز، ومارك ميلر: **عصر الهجرة**، ط 4، تر: منى الدروبي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.

14. سعد الكرعاوي، **الهجرة: الوفيات والطبقات الاجتماعية**، علم اجتماع السكان، دت.

15. صابر عبد الباقي: **علم اجتماع السكان، نظام التعليم المتطور للأنساب**، جامعة الملك فيصل، 1994.

16. طارق محمد أحمد حسين وآخرون، **دراسة للتغيرات فى عوامل النمو السكاني بريف محافظة الوادي الجديد**، ع5، قسم المجتمع الريفي والإرشاد الزراعي، جامعة أسيوط، 2017.

17. عبد الباسط محمد حسن: **أصول البحث الاجتماعي**، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1975.

18. عبد الحكيم أمين: **الهجرة اشكالات وتحديات**، موسوعة العربية العالمة، الكويت، 2008.

19. عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

20. عبد الله شلبي: **علم الاجتماع – الاتجاهات النظرية والاستراتيجيات البحثية**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012.

21. عبد الله عبد الغني غانم: **طرق البحث الأنثروبولوجي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2004.

22. عمار بوحوش وآخرون: **مناهج البحث العلمي**، دار العلوم النشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2003 .

23. عمر معن خليل: **نقد الفكر الاجتماعي المعاصر**، ط2، دار الآفاق الجيدة، بيروت، 1991.

24. غدنز أنتوني: **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**/ أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال، تر: د. فايز الصياغ، ط 4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.

25. فالنتيا غراسي. **مدخل إلى علم اجتماع المخيال – نحو فهم الحياة اليومية** (المجلد 1). (محمد عبد النور، وسعود المولى، المترجمون) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

26. كمال بومنير: **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى أكسل هونيث**، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2010.

27. لارامي ب: **البحث في الاتصال**، تر: فضيل دليو وآخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، ط2، 2009.

28. مارك كوت: **الجغرافيا المصغرة لمنطقة ورقلة**، تر الهادي دادن، منشورات جمعية الثقافة والإصلاح، ورقلة، 2016.

29. مأمون طربيه: **علم الاجتماع في الحياة اليومية**، ط1، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 2011.

30. محمد الجوهري وآخرون: **الأنثروبولوجيا الاجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2004.

31. محمد داود: **الهوية والتعدد اللغوي والثقافي في الجزائر: واقع ورهانات**، أعمال اليوم الدراسي حول الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، مشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018.

32. محمد علي محمد: **تاريخ علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987.

33. مرزوق عبد الرحيم: **<<الهجرة الريفية الحضرية في الجمهورية العربية المتحدة: أنماطها ودوافعها والآثار المترتبة عليها>>**، الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفي في ج.ع.م، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1971.

34. مزهودي مسعود مزهودي: **الإباضية في المغرب الأوسط**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1996.

35. مصطفى الخشاب: علم الاجتماع ومدارسه، الدار القومية القاهرة، 1965.

36. منصور لخضاري: **ساحل الصحراء وبناء الأمن الوطني الجزائري**، إصدار مديرية الاعلام والاتصال والتوجيه، الجزائر– المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2012.

37. نور عثمان الحسن محمد، ياسر عوض الكريم المبارك: **الهجرة غير المشروعة والجريمة**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2008.

38. هائل الشميري: **التسول بصمة كئيبة في جبين المجتمع: دراسة في عوامل وأنماط التسول وآثاره الاجتماعية والتربوية**. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر، 2012.

39. هشام محمود الأقداحي: **الإغتراب والهجرة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2018.

40. هوشيار معروف: **دراسات في التنمية الاقتصادية**، ط1، دار الصفاء للنشر، جامعة البلقاء التطبيقية، 2005.

41. يورغان هابرماس: **العلم والتقنية كإديولوجيا**، تر: حسن صقر، ط1، منشورات الجيل، كولونيا، ألمانيا، 2003.

- **المجلات والمنشورات العلمية:**

42. أحمد إيدابير، **مالي التعدد الإثني والتحدي الأمني: دراسة في كرونولوجيا النزاع من 1963 إلى 2012**، مجلة آفاق علمية، مجلد 9، ع 2، 2017.

43. امحند برقوق: **ساحل الصحراء بين التهديدات الداخلية والحسابات الخارجية**، مجلة العالم الاستراتيجي، الجزائر، مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008.

44. بوريب خديجة: **الدبلوماسية الأمنية الجزائرية في منطقة ساحل الصحراء- الواقع والرهانات**، المجلة العربية للعلوم السياسية- لبنان، المجلد/العدد 41/42، 2014.

45. التقرير الاستراتيجي الافريقي، مركز البحوث الافريقية، جامعة القاهرة، سبتمبر، 2002.

46. جرادي سكينة، نورية سوالمية: **دور الفضاء العمومي في تشكيل التواصل الاجتماعي**، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 10، العدد02، 2021.

47. حسين الحريري ، "**فيرابند بين الفوضانية والنسبوية**"، مقال منشور في مجلة الشرق الأوسط، العدد 13337، 04 جوان 2015.

48. درنوني سليم: **العمل الحقلي في البحث الأنثروبولوجي**، مجلة أنثروبولوجيا، العدد 2، مركز فاعلون، الجزائر، 2015.

49. ذكار أحمد: **مدينة ورقلة التسمية والتأسيس دراسة تاريخية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17، جامعة ورقلة، 2014.

50. عبد القادر خليفة: **مهاجرو جول الساحل في مدن الصحراء الجزائرية: من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة – الجزائر)**، مجلة انسانيات، عدد مزدوج 69-70، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية كراسك، وهران، جويلية-ديسمبر، 2015.

51. عصام جمال، سليم غانم: **تطبيقات منهجية البحث الفينومينولوجية في بحوث الادارة التعليمية**، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع 761، مصر، 2016.

52. مجبرون على الرحيل: **قصص الظلم ضد المهاجرين في الجزائر**، منظمة العفو الدولية، رقم الوثيقة: MID 28/9512/2018، سنة 2018.

53. محمد أحمد شفيع: **التواصل الحضاري العريق بين المناطق الافريقية شمال الصحراء الكبرى وجنوبها**، أعمال ندوة التواصل.

54. مصطفى بخوش: "**منطقة ساحل الصحراء بين الأبعاد الجيوسياسية والاعتبارات الجيواقتصادية**، مجلة العالم الاستراتيجي، مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008.

المراجع باللغة الأجنبية:

55. Alain Coulon, **L'Ethnométhodologie**, PUF, Paris, <<Que sais-je?>>, 5e ed, 2002.

56. Andre Bourgeot, « **Sahara : espace géostratégique et enjeux politique (niger)** », Chaier des recherches CNRS laboratoire d'anthropologie sociale, Auterpart(16), 2000.

57. Bourdieu, P ., Chambordedon, J.-C., et Passeron, J .,-C. (1973, 2005). **Le métier de sociologue, préalables épistémologiques**, Paris : Mouton, 1973. 5éme Ed. Berlin, 2005.

58. Gerard Francois Demant : « **La geopolitique Des Poupilations Du Sahel** », article present dans le caheir du CEREM (centre d'etudes et de recherches de l'ecole militaire, N13, 7 avril 2010**.**

59. Henri Plangol et Francois Lanche, "**La Situation securitaire dans les pays de la zone saharien"**, raport presente par les deputes a l'assemble national françaisz, N 4431, 6 mars 2012.

60. Jean Lithelleux, **ouargla cite saharienne**, des origines au debut de xxe siecle, paris, 1984.

- **الرسائل الجامعية:**

61. ابراهيم بن محمد بن علي العايدي: **أثر التنسيق بين الأجهزة الأمنية في المنافذ البرية في الحد من عمليات التهريب والتسلل**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1995.

62. بوجوراف بلال: **المجال والهوية في حواضر الصحراء الجزائرية**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، سنة 2022.

63. جميلة أحمد جابر: **انتشار حركة الوصول الحر للنشر العلمي في البلدان العربية دراسة فينومينولوجية**، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانية في علوم الاعلام والاتصال، اشراف الدكتورة حسانة محي الدين، الجامعة اللبنانية، المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العام الجامعي 2017_2018.

64. قصي عطية: **بنية الأسرة وتحولات السكن والتساكن في الفضاء الصحراوي الجزائري**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر ، 2020.

65. عبد الله بلعباس، **ظاهرة الهجرة عند عبد المالك صياد: من السياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي**، مجلة إنسانيات، ع 62، طبعة أكتوبر–ديسمبر 2013.

■ **المواقع الإلكترونية:**

66. علاء جواد كاظم، **الصورة حكاية أنثربولوجية**، www.essahafa.info.tn يوم 2021/06/16

67. طاهر حسو الزيباري. (/ / 2010). الاتجاه الاثنوميتودولوجي أو منهج الجماعة. تاريخ الاسترداد 14 07، 2020من انتروبوس:

https://www.aranthropos.com/tag/%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%ab%d9%86%d9%88%d9%85%d9%8a%d8%ab%d9%88%d8%af%d9%88%d9%84%d9%88%d8%ac%d9%8a%d8%a7/

68. أصوات مغاربية: **المهاجرون الأفارقة بالجزائر..بن حبيلس: هم ضيوفنا**، مقال منشور على موقع أصوات مغاربية، بتاريخ: 2017/07/10، تاريخ الاطلاع: 2023/01/23.

https://www.maghrebvoices.com/2017/07/10/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AC%D8%B1%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%AD%D8%A8%D9%8A%D9%84%D8%B3-%D9%87%D9%85-%D8%B6%D9%8A%D9%88%D9%81%D9%86%D8%A7

69.البوبو:

https://m.arabi21.com/Story/919490?fbclid=IwAR0QJzWmORbWEdoswp4alxvRAL9EQ1eL0gPq2Kcv-_aP3PSGbQLurHxFeAk

.70

71. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=523518

72. جهاد الزين ، **بين ترامب "التافه" والترامبية "الرصينة"**، مقال منشور على موقع صحيفة عمون، تاريخ النشر: 31 جانفي 2017، تاريخ الاطلاع: 22 جويلية 2022، رابط المقال: https://www.ammonnews.net/article/299054

73. الألوسي تيسير: **المهاجرون والعمل والاندماج**، مجلة ألواح سومرية، العدد 1، يوليو- تموز، 2004 : www.somerian-slates.com

74. موقع الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ الزيارة : 28 اكتوبر 2021

https://www.politics-dz.com/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1-

ملاحق الدراسة

صورة رقم: 10/09

صور لثلاث 03 مهاجرين من النيجر أعمارهم 17،17،18 سنة، في أحد نقاط التفتيش الأمنية التابعة لمدينة ورقلة

من تصوير الباحث

صورة رقم: 12/11

صور لأماكن سكن المهاجرين

في الأحياء الهامشية

من تصوير الباحث

صورة رقم: 14/13

صور تظهر مكان سكن المهاجرين من الداخل

من تصوير الباحث

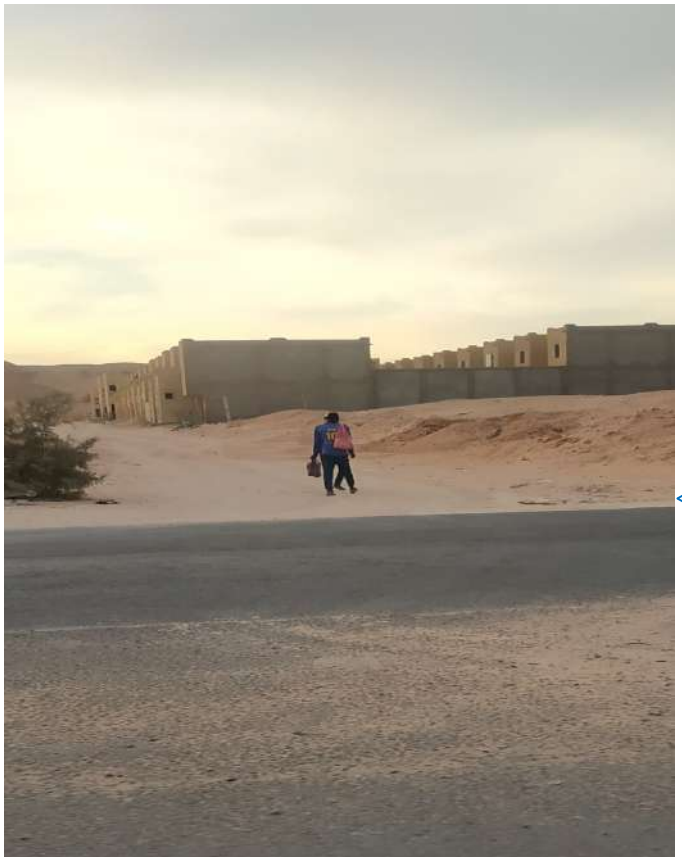

صورة رقم: 15 / 16

صور لمهاجرين عائدين لمكان السكن والمتمثل في ورشات البناء التي يشتغلون بها من تصوير الباحث

صورة رقم: 17

تجمع الباحث مع مجموعة

مهاجرين من دولة مالي في

مقر سكناهم

من تصوير الباحث

صورة رقم: 18 / 19

تظهر التفاعل التجاري

للمهاجرين في الأسواق

مهاجر بائع/ مهاجر مشتري

من تصوير الباحث

صورة رقم: 20 / 21

صور أخرى تظهر التفاعل التجاري للمهاجرين في الأسواق

مهاجر بائع/ مهاجر مشتري

من تصوير الباحث

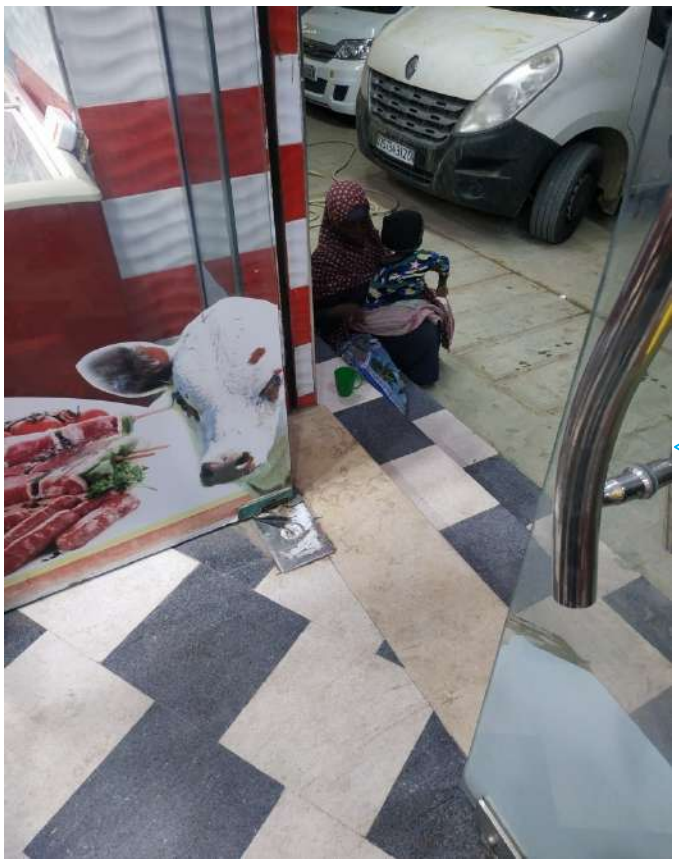

صورة رقم: 22 / 23

صور تظهر التفاعل من أجل التسول للمهاجرين في الأسواق

مهاجرات من النيجر مع أولادهن يمارسن التسول أمام المحلات التجارية

من تصوير الباحث

صورة رقم: 24 / 25

صور تظهر لعب أطفال المهاجرين في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة

من تصوير الباحث

صورة رقم: 26 / 27

صور تظهر أطفال المهاجرين في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة

من تصوير الباحث

صورة رقم: 28 / 29

صور تظهر أطفال المهاجرين في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة

من تصوير الباحث

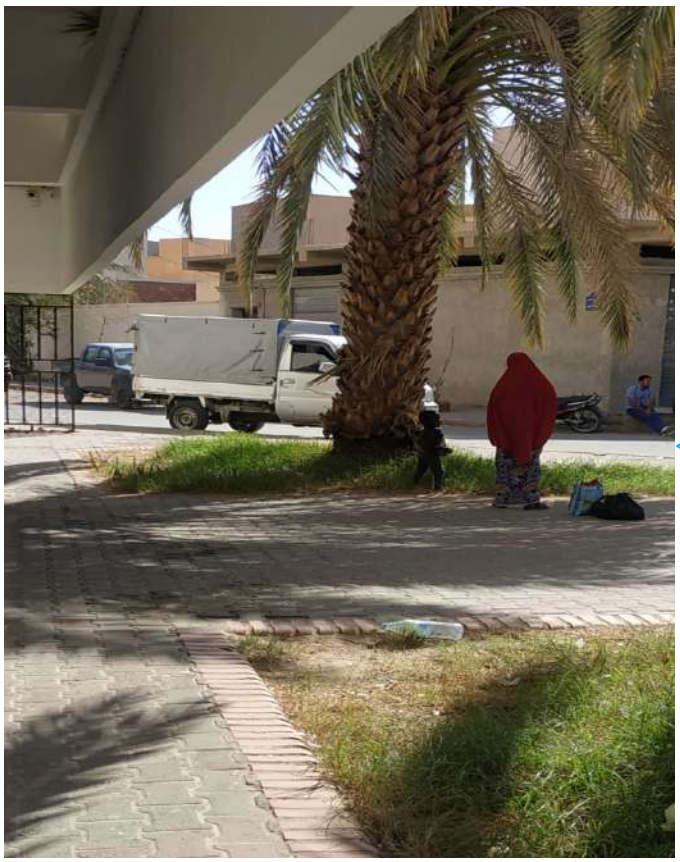

صورة رقم: 30 / 31

المهاجرين في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة

من تصوير الباحث

صورة رقم: 32 / 33

المهاجرين في الفضاءات العامة بمدينة ورقلة

من تصوير الباحث

صورة رقم: 34

صورة لمهاجرتين من دول النيجر تؤديان صلاة العشاء في ساحة عامة بمنطقة الشرفة (مدينة ورقلة)

من تصوير الباحث

صورة رقم: 35

مهاجرات من النيجر بلباس يظهر الهوية الدينية

من تصوير الباحث

صورة رقم: 36 / 37

تظهر عملية تسوق المهاجرين لشراء الألبسة والأحذية من السوق الأسبوعي بورقلة

من تصوير الباحث

صورة رقم: 38 / 39

التثاقف والإنكفاء في نمط اللباس عند المهاجرين

من تصوير الباحث

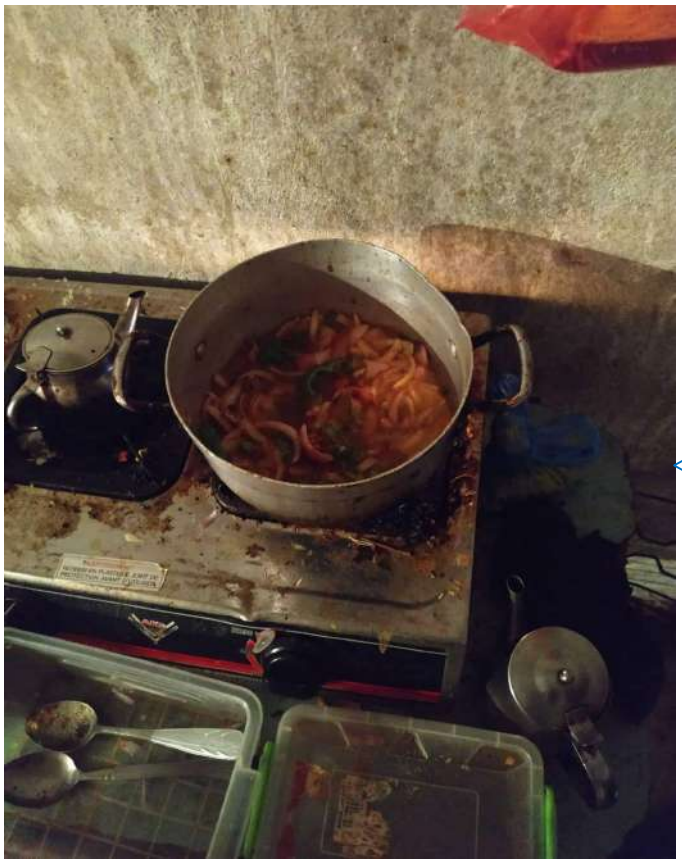

صورة رقم: 40 / 41

صور لعملية تحضير أكلة "لافيان" في أحد أماكن سكن مهاجرين من دولة مالي

من تصوير الباحث

صورة رقم: 42 / 43

صور لعمال مهاجرين في أحد ورشات البناء بمدينة ورقلة

من تصوير الباحث

صورة رقم: 44

مجموعة من المهاجرين العمال

على متن شاحنة تابعة لأحد

ورشات البناء

من تصوير الباحث

صورة رقم: 45

صور لنماذج السكنات التي

يشتغل على بنائها مهاجرون

من دول ساحل الصحراء

من تصوير الباحث

صورة رقم: 46 / 47

صور لنماذج السكنات التي يشتغل على بنائها مهاجرون من دول ساحل الصحراء

من تصوير الباحث

صورة رقم: 48 / 49

صور لنماذج السكنات التي يشتغل على بنائها مهاجرون من دول ساحل الصحراء

من تصوير الباحث

صورة رقم: 50 / 51

صور لأحد المزارع التي يشتغل بها المهاجرون

ملاحظة: رفض المهاجرون تصويرهم من تصوير الباحث

صورة رقم: 52 / 53

صور لعمل مهاجري دول ساحل الصحراء في المحلات التجارية والورشات

من تصوير الباحث

صورة رقم: 54 / 55

صور لعمل مهاجري دول ساحل الصحراء في المحلات التجارية والورشات

من تصوير الباحث

صورة رقم: 56 / 57

صور لعمل مهاجري دول ساحل الصحراء في المحلات التجارية والورشات

من تصوير الباحث

صورة رقم: 58 / 59

صور لطاولات تجارة الأرصفة التي يمارسها المهاجرون في مدينة ورقلة

من تصوير الباحث

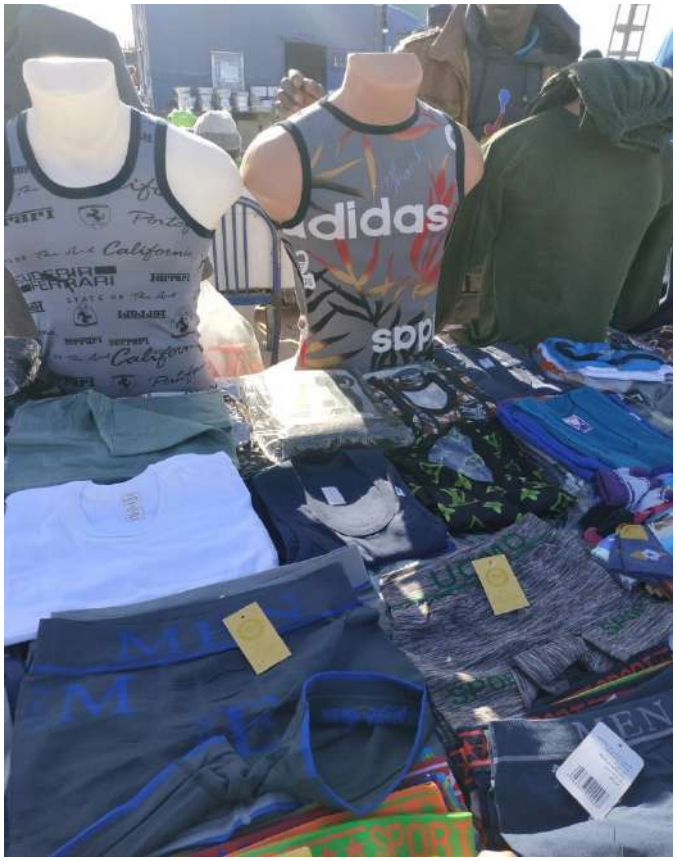

صورة رقم: 60 / 61

صور لطاولات تجارة الأرصفة التي يمارسها المهاجرون في مدينة ورقلة

من تصوير الباحث

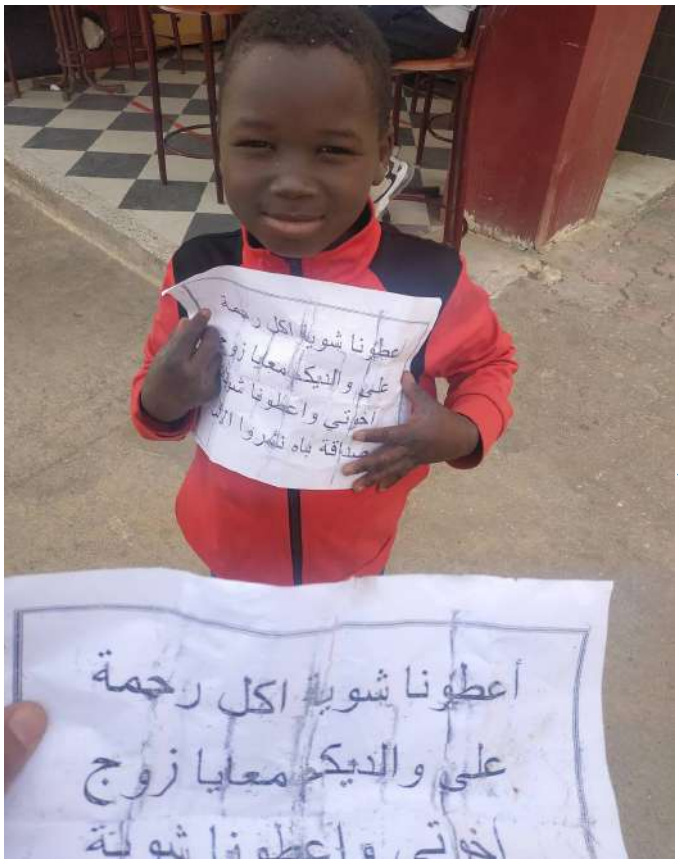

صورة رقم: 62 / 63

صور لظاهرة تسول أطفال المهاجرين

من تصوير الباحث

صورة رقم: 64 /65

صور لظاهرة تسول أطفال المهاجرين

من تصوير الباحث

صورة رقم: 66 / 67

صور لظاهرة تسول النساء المهاجرات

من تصوير الباحث

صورة رقم: 68 / 69

الباحث مع مهاجرتين يمارسن التسول وبيع المناديل الورقية

من تصوير الباحث

صورة رقم: 70 / 71

فتاة مهاجرة تتجول على المطاعم في منطقة الكاتشوما الهجرة/ اليوميات/ المعيش في صورة

من تصوير الباحث

ملخص:

جاءت هذه الدراسة لتفتح مجال البحث العلمي والأكاديمي في موضوع الهجرة والمعيش اليومي للمهاجرين الوافدين من دول ساحل الصحراء إلى مدينة ورقلة، لتبتعد عن القراءات الشعبوية أو الصحفية، التي لطالما وصمت الهجرة والمهاجر بوصمات سلبية، وهي من الدراسات التي زاوجت بين تخصصين في الأنثروبولوجيا، أنثروبولوجيا الهجرة وأنثروبولوجيا الحياة اليومية، انطلاقا من تمشي منهجي كيفي اختلفت فيه المناهج والأساليب المستخدمة في حصر وتحليل المعطيات الإثنوغرافية.

خلصت الدراسة إلى أن هجرة مواطني دول ساحل الصحراء هي براكسيس يعبر عن انتفاضة ضد تاريخانية الواقع المعيش في البلد الأصل يهدف إلى تغيير واقع اجتماعي، إضافة إلى أن المهاجرين شكلوا واقعا اجتماعيا من خلال خلق نسق وآليات للسكن والانتظام في جماعات العمل، إضافة إلى التفاعل اليومي داخل الفضاءات العامة في مدينة ورقلة، كما خلصت الدراسة إلى ابراز الواقع الثقافي وعمليات التثاقف الحاصلة بين المهاجر الوافد ومجتمع الاستقبال، ودور المهاجرين الايجابي والسلبي في عمليات التنمية التي تشهدها مدينة ورقلة من خلال الغوص في تحليل عمل المهاجرين وظاهرة التسول.

الكلمات المفتاحية: أنثروبولوجيا الهجرة، المهاجر، اليوميات، المعيش، ورقلة.

Abstarct:

This study came to open the field of scientific and academic research on the subject of migration and the daily living of immigrants from the countries of the Sahara coast to the city of Ouargla, to move away from populist or journalistic readings, which have always stigmatized immigration and immigrants with negative stigmas, and it is one of the studies that combined two disciplines in anthropology, the anthropology of migration and the anthropology of daily life, based on a qualitative methodology in which the approaches and methods used in inventorying and analyzing ethnographic data differed.

The study concluded that the migration of the citizens of the Sahara coast countries is a praxis that expresses an uprising against the historicity of the living reality in the country of origin and aims to change a social reality, in addition to that the immigrants formed a social reality through the creation of patterns and mechanisms for housing and regularity in work groups, in addition to the daily interaction within The public spaces in the city of Ouargla, the study also concluded to highlight the cultural reality and acculturation processes that take place between the incoming immigrant and the receiving community, and the positive and negative role of immigrants in the development processes taking place in the city of Ouargla by diving into the analysis of immigrant work and the phenomenon of begging.

Keywords: The anthropology of migration, the immigrant, the diaries, the living, Ouargla.